الأوبئة في مصادر الديانات الكتابية
-دراسة عقدية مقارنة-

دكتور/ رياض بن حمد بن عبدالله العُمري
الأستاذ المشارك في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة
كلية أصول الدين – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

الملخص:
موضوع البحث: الأوبئة في مصادر الديانات الكتابية –دراسة عقدية مقارنة–
أهداف البحث: بيان موقف مصادر الديانات الكتابية من مفهوم الأوبئة وأسبابها ومنهج التعامل معها ، وأوجه الاتفاق والاختلاف بينها في ذلك ، وجوانب تميز المنهج الإسلامي.
منهج البحث: المنهج الاستقرائي والتحليلي المقارن .
أهم النتائج:

- الأوبئة جمع وباء، وهو مرض يعم الكثير من الناس في جهة من الجهات دون غيرها، بخلاف المعتاد من أحوال الناس وأمراضهم، وقد شهد تاريخ البشرية ومازال عدداً كبيراً من الأوبئة والجوائح.
- ورد مصطلح الوباء ومافي معناه ضمن مصادر الديانات الكتابية، ففي المصادر الإسلامية ورد لفظ الوباء صريحاً في السنة في مواضع قليلة وفي معناه القريب لفظ الطاعون الذي ورد بشكل أكبر، والطاعون على الصحيح نوع خاص من الأوبئة فكل طاعون وباء وليس كل وباء طاعون. أما في المصادر اليهودية فورد لفظ الوباء كثيراً في العهد القديم حتى بلغت (٤٩) مرة، وغالب وروده على هيئة عذاب وعقاب لبني إسرائيل أو أعدائهم. أما في المصادر النصرانية فورد لفظ الوباء قليلاً في العهد الجديد وجاءت الإشارة للوباء ضمن حديث المسيح –عليه السلام– عما سيحدث على الأرض قبيل مجيئه إليها ثانية، وكذلك في تحذير بولس الناس من الوقوع في الآثام وعبادة الأوثان.

- تعددت أسباب الأوبئة وما في معناها في مصادر الديانات الكتابية، ومن أشهر هذه الأسباب:

أولاً: العقاب الإلهي لمن خالف أمر الله تعالى ممن كذّب بالله تعالى وآياته وكتبه، أو ممن آمن به لكن خالف أمره في بعض المواضع مع اختلاف الحال بين الفريقين. الثاني: الرحمة والابتلاء من الله تعالى. إذ يلفت تعالى الناس في هذه المصادر إلى أهمية الرجوع إليه وترك مخالفة أمره من خلال الابتلاء بأنواعه المختلفة ومنها الأوبئة حتى إذا ماعادوا إليه كان ذلك رحمة بهم إما في الدنيا برفع الوباء عنهم أو في الآخرة بتكفير خطاياهم. الثالث من الأسباب: كون هذه الأوبئة علامات ومقدمات لليوم الآخر الذين تؤمن به كل الديانات الكتابية مع اختلاف المصادر بينها في تفاصيله بسبب ماطرأ على مصادر أهل الكتاب من التغيير.

- في منهج التعامل مع الأوبئة: تتفق المصادر الكتابية على أن العقوبات الإلهية هي أحد أسباب الأوبئة، كماتتفق هذه المصادر على أن التوبة والتزام شرع الله والإيمان به من أسباب رفع هذه العقوبات، ويعد التوجه للخالق جل وعلا بالدعاء لأجل رفع البلاء وكشفه من الأمور التي تواتر عند أهل الأديان جميعاً بيان أثرها واستجابة الله تعالى لها إذا شاء، كما أن تقديم القرابين والصدقات أحد أسباب رفع العقوبات والأوبئة التي اتفقت عليها مصادر الديانات الكتابية.
- وختاماً فقد جاء في مصادر الديانات الكتابية وتحديداً في العهد القديم والمصادر الإسلامية الإشارة بوضوح إلى فعل بعض الأسباب المادية للوقاية من الأمراض المعدية، وإن كانت المصادر الإسلامية في هذا المجال أكثر وضوحاً وشمولية وموافقة للعلم الحديث في منهج التعامل مع الأوبئة.

التوصية :

أهمية البحث العلمي في مجال مقارنة الأديان في مسائل النوازل المعاصرة ، وبيان تميز المنهج الإسلامي عن غيره.

المقدمة :

الحمدلله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :

فإن الأمراض من سنن الله تعالى الكونية في جميع البشر، وقد تفاوتت تصورات الناس تجاه هذه الأمراض تبعاً لجملة من المؤثرات، وقد كان للجانب الديني والعقائدي دور ظاهر في تشكيل هذه التصورات تجاه أسباب حدوث الأمراض، وكيفية التعامل معها، ووسائل الوقاية منها ودفعها.

في الديانات الكتابية ترتبط النظرة للأمراض والأوبئة بشكل مباشر بما جاء في مصادر هذه الديانات، والتي هي في أصلها من الوحي الذي أنزله الله تعالى على أنبياء ورسل هذه الديانات.

وفي هذه الدراسة المختصرة سنحاول استجلاء المواقف تجاه الأوبئة تحديداً من خلال النصوص الواردة حولها في مصادر الديانات الكتابية، حيث سيتناول البحث مفهوم الأوبئة بشكل عام ومفهومها في هذه المصادر ثم العرض لأسباب الأوبئة المتعددة كما جاءت في هذه المصادر، وفي الختام نتناول كيف كان منهج التعامل مع هذه الأوبئة وفق ماجاء في مصادر الديانات الكتابية.

ومع أن المصادر اليهودية والنصرانية قد شابها ماشابها من التغيير والتصحيف إلا أن ماورد فيها يمكننا من استخلاص مواقف واضحة صالحة للعرض والتقويم، ومن ثم مقارنتها مع المصادر الإسلامية والتي تتسم بالشمولية في منهج التعامل مع الأوبئة .

وفي الختام نسأله تعالى العون والتوفيق لأصوب العمل وأخلصه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

تساؤلات البحث :

١. ما مفهوم الأوبئة في مصادر الديانات الكتابية ؟ وما أسبابها ؟
٢. ما منهج التعامل مع الأوبئة في ضوء ماورد في هذه المصادر ؟
٣. ما أوجه الاتفاق والاختلاف والتميز بين هذه المصادر ؟

حدود البحث :

دراسة عقدية للنصوص الواردة في مصادر الديانات الكتابية حول الأوبئة وأسبابها ومنهج التعامل معها ، وهذه المصادر هي: الكتاب والسنة ، والعهدين القديم والجديد .

أهمية الموضوع :

١. أثر المصادر الدينية وعقائدها في تصورات البشر حول الأوبئة ومنهج التعامل معها.

٢. توضيح أوجه الاتفاق والاختلاف بين مصادر الديانات الكتابية في هذه المسألة .

٣. بيان كمال المنهج الإسلامي وشموليته في التعامل مع الأوبئة .

هدف البحث :

بيان موقف مصادر الديانات الكتابية من مفهوم الأوبئة ، وأسبابها ، ومنهج التعامل معها ، وأوجه الاتفاق والاختلاف بينها في ذلك وجوانب تميز المنهج الإسلامي.

منهج البحث :

سيسلك الباحث المنهج الاستقرائي والتحليلي المقارن من خلال استقراء وتحليل النصوص الواردة في مصادر الديانات الكتابية المتعلقة بالأوبئة ومنهج التعامل معها مع عقد المقارنات وبيان أوجه الاتفاق والاختلاف والتميز بين هذه المصادر.

خطة البحث :

المقدمة ، وتتضمن: أهمية الموضوع، وتساؤلاته، وحدوده، وأهدافه، ومنهجه، وخطته.

التمهيد ، وفيه :

- مفهوم الأوبئة وتاريخها.

الفصل الأول : مفهوم الوباء وما في معناه في مصادر الديانات الكتابية .

المبحث الأول : الوباء وما في معناه ضمن المصادر الإسلامية .

المبحث الثاني : الوباء وما في معناه ضمن المصادر اليهودية والنصرانية .

الفصل الثاني : أسباب الأوبئة في مصادر الديانات الكتابية .

المبحث الأول : العقاب الإلهي .

المبحث الثاني : الرحمة بالمؤمنين .

المبحث الثالث : اقتراب اليوم الآخر .

الفصل الثالث : منهج التعامل مع الأوبئة في مصادر الديانات الكتابية .

المبحث الأول : إعلان التوبة والتزام شرع الله والإيمان به .

المبحث الثاني: الدعاء .

المبحث الثالث : تقديم القرابين والصدقات .

المبحث الرابع : فعل الأسباب المادية للوقاية من الأوبئة .

الدراسات السابقة :

لم أقف حسب اطلاعي على دراسة علمية مقارنة تناولت موضوع الأوبئة: مفهومها ، وأسبابها ، وكيفية التعامل معها ، وفق النصوص الواردة في مصادر الديانات الكتابية الثلاث.

التمهيد : مفهوم الأوبئة وتاريخها.

الأوبئة جمع وباء ، ولغة هو كل مرض عام[١]. وأما في الاصطلاح فهو: "مرض يعم الكثير من الناس في جهة من الجهات دون غيرها، بخلاف المعتاد من أحوال الناس وأمراضهم، ويكون مرضهم غالباً مرضاً واحداً ، بخلاف سائر الأوقات، فإن أمراض الناس مختلفة"[٢].

أما من الناحية الطبية: فالأوبئة هي زيادة غير متوقعة، وغالبًا مفاجئة، في مُعدَّلات الإصابة بمرض مُعيَّن داخل مجتمع محلي ما أو منطقة ما. أما الجائحة، فتحدث عندما يتفشى وباء مُعيَّن في جميع أنحاء العالم، متخطيًا الحدود الدولية ومؤثرًا في أعداد كبيرة من الناس. ويمكن أن يشكل عدد من الأمراض المعدية تهديدات صحية كبيرة على الأصعدة المحلية والإقليمية والعالمية، مما يؤدي إلى تفشي أوبئة أو جوائح.

ويمكن الوقاية من الأوبئة والجوائح والتخفيف من حدتها عبر اتخاذ مجموعة من الإجراءات الاحترازية والتدابير الوقائية (المادية) على المستويين المنزلي والمجتمعي، مثل اتباع قواعد النظافة الصحية الجيدة والتباعد الاجتماعي والتلقيح[٣].

وقد شهد تاريخ البشرية عدداً كبيراً من الأوبئة والجوائح لكن من أشدها تأثيراً: الطاعون الدبلي المعروف باسم "الموت الأسود"، وهو الوباء الأكثر فتكاً بالبشر على مر التاريخ. فقد تسبب الموت الأسود، في القرن الرابع عشر الميلادي وتحديداً بين عامي ١٣٤٧م – ١٣٥١م، بمقتل ما لا يقل عن ٢٠٠ مليون شخص في مختلف أنحاء العالم، ويعتقد أنه نشأ في الصين أو بالقرب منها، ثم انتقل إلى إيطاليا وبعد ذلك إلى باقي أنحاء أوروبا، ثم إلى مختلف دول العالم.

أما وباء الجدري، فقد تسبب بوفاة ٥٦ مليون شخص عندما ظهر عام ١٥٢٠م، وتسببت الإنفلونزا الإسبانية التي ظهرت بعد الحرب العالمية الأولى ١٩١٨م–١٩١٩م، بوفاة ما بين ٤٠ و٥٠ مليون إنسان في مختلف أنحاء العالم، في حين أودى طاعون جوستنيان، بين عامي ٥٤١ م–٥٤٢م، بحياة مابين ٣٠ و٥٠ مليون شخص، وربما كان سبباً في انهيار الإمبراطورية البيزنطية.

أما مرض نقص المناعة المكتسبة "الأيدز"، الذي ظهر عام ١٩٨١م ومازال منتشراً حتى وقتنا الحالي، فأودى بحياة ما بين ٢٥ –٣٥ مليون شخص.

---

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور، (١٨٩/١).

(٢) المنتقى شرح الموطأ للباجي، (١٩٨/٧) .

(٣) انظر: تعريف الاتحاد الدولي لجمعيات الصليب الأحمر والهلال الأحمر www.ifrc.org/ar

وآخر الأوبئة ظهوراً هو فيروس كورونا الجديد، الذي ظهر أولاً في مدينة ووهان بوسط الصين[١]، فقد أصاب حتى الآن أكثر من ٦٩٠ مليون إنسان، وتسبب بوفاة ما يزيد على ستة ملايين وثمانمائة وتسعين ألف شخص تقريباً في مختلف أنحاء العالم[٢].

وهناك أوبئة وطواعين ظهرت في العديد من البلدان وعلى مر قرون متطاولة سُجلت أحداثها وآثارها في كتب التاريخ والتراجم واختلفت الأمم والشعوب في طريقة تعاملها معها ، وليس البحث معنياً هنا برصد الواقع التاريخي لهذه الأوبئة بقدر مايهمنا المنطلقات الدينية والعقائدية في التعامل مع هذه الأوبئة ، وذلك في مجال محدود يمكن إلقاء الضوء عليه في مثل هذا البحث، وأعني بذلك مصادر الديانات الكتابية: الإسلام واليهودية والنصرانية ، وماجاء في نصوصها حول الأوبئة وأسبابها وطرق التعامل معها .

(١) إنفوغرافيك..تاريخ الأوبئة الأكثر فتكاً في العالم، مقالة على موقع سكاي نيوز العربية www.skynewsarabia.com

(٢) حسب الإحصائية اليومية الواردة في موقع صحتي: https://sehhty.com بتاريخ ٢٠٢٣/٦/١٠م .

الفصل الأول : مفهوم الوباء وما في معناه في مصادر الديانات الكتابية .

المبحث الأول : الوباء وما في معناه ضمن المصادر الإسلامية .

تقدم في مفهوم الوباء بأنه كل مرض سريع الانتشار يعم جهة من الجهات. وهذا المعنى ورد في المصادر الإسلامية ليشمل مفردتين هما:

١. الوباء : فقد جاءت الإشارة إليه في السنة النبوية صريحاً بهذا اللفظ في عدة مواضع ، فمنها أن المدينة كانت قبل مقدم النبي صلى الله عليه وسلم أرض وباء بالحمى، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم الله عزوجل أن ينقل عنها ذلك الوباء بقوله: "اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، اللهم بارك لنا في صاعنا وفي مدنا، وصححها لنا، وانقل حماها إلى الجحفة"(١).

وجاءت الإشارة للأوبئة في السنة في مقام النهي عن ترك الآنية من غير غطاء خشية إصابة الشراب والطعام فيها بالأوبئة ، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "غطوا الإناء، وأوكوا السقاء، فإن في السنة ليلة ينزل فيها وباء، لا يمر بإناء ليس عليه غطاء، أو سقاء ليس عليه وكاء، إلا نزل فيه من ذلك الوباء"(٢).

ومن ذلك أيضاً ماورد عن عبد الله بن عامر رضي الله عنه: " أن عمر –بن الخطاب–خرج إلى الشأم، فلما كان بسرغ بلغه أن الوباء قد وقع بالشأم، فأخبره عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه(٣).

٢. الطاعون : وهو مرض سريع الانتشار ، لكنه يتميز بأنه يسبب بثراً وأوراماً مؤلمة جداً يسود ماحولها أو يخضر أويحمر ويخرج في المراق والآباط والأيدي والأصابع وسائر الجسد(٤). ويعرفه المعاصرون بأنه: "داء ورمي وبائي، سببه مكروب يصيب الفئران ، وتنقله البراغيث إلى فئران أخرى وإلى الإنسان"(٥) ، وقد جاء وصفه في السنة بمايقرب من هذه الأوصاف ففي حديث عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا تفنى أمتي إلا بالطعن والطاعون " قلت:

(١) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم (١٨٨٩) (٢٣/٣) .
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم (٢٠١٤) (٣/ ١٥٩٦) .
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم (٥٧٣٠) (١٣٠/٧) .
(٤) انظر: تهذيب الأسماء واللغات للنووي: (١٨٧/٣) .
(٥) المعجم الوسيط: (٥٥٨/٢).

يارسول الله، هذا الطعن قد عرفناه، فما الطاعون؟ قال: " غدة كغدة البعير، المقيم بها كالشهيد، والفار منها كالفار من الزحف "[١].

وقد جاء في السنة وصف الطاعون وكيفية الوقاية منه على نحو ماجاء في الوباء فمن ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم قال: "الطاعون رجس أُرسل على طائفة من بني إسرائيل أو على من كان قبلكم ، فإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه"[٢].

لكن هل كل وباء يصح أن يقال عنه طاعون أم أن هناك فرقاً بينهما ؟

الذي يدل عليه استقراء نصوص الشرع واختيار بعض المحققين من أهل العلم: أن بين الطاعون والوباء عموم وخصوص فكل طاعون وباء وليس كل وباء طاعون ، وكذلك الأمراض العامة أعم من الطاعون فإنه واحد منها ، والطواعين خراجات وقروح وأورام رديئة حادثة في الجسم وليست كل الأوبئة كذلك [٣]. وجاء في السنة أن الطاعون لايدخل المدينة ، ففي الحديث يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "على أنقاب المدينة ملائكة لايدخلها الطاعون، ولا الدجال"[٤]. ومن المعلوم أن الأمراض العامة سوى الطاعون تدخل المدينة ومنها ماحصل مؤخراً في وباء جائحة كورونا.

ولهذا يقول الحافظ ابن حجر في تعليقه على الحديث: "وقد صرح الحديث الأول بأن الطاعون لايدخلها فدل على أن الوباء غير الطاعون. وأن من أطلق على كل وباء طاعوناً فبطريق المجاز.."[٥].

المبحث الثاني : الوباء وما في معناه ضمن المصادر اليهودية والنصرانية .

لفظة الوباء في العبرية هي " دِبِر " ((dbr، وتدل على مرض معدٍ خطير سريع الانتشار[٦].

وقد وردت الكلمة العبرية (٤٩) مرة في العهد القديم ، وأكثر مواضعها وروداً في سفر إرميا (١٦) مرة ، وفي سفر حزقيال (١٢) مرة ، وسفر المزامير ثلاث مرات .

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٥٣/٤٢) وقال المحقق: إسناده جيد. وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٣٢/٢)

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم (٣٤٧٣) (١٧٥/٤) .

(٣) انظر: زاد المعاد لابن القيم (٣٥/٤-٣٦).

(٤) متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم (١٨٨٠) (٢٢/٣) وأخرجه أيضاً مسلم في صحيحه حديث رقم (١٣٧٩) (١٠٠٥/٢) .

(٥) فتح الباري لابن حجر: (١٨١/١٠).

(٦) دائرة المعارف الكتابية (٨/ ١٨٧) .

وتشير دائرة المعارف الكتابية إلى أنه " لا يذكر الوبأ في الكتاب المقدس على أنه ظاهرة طبيعية تحدث اعتباطاً بلا هدف ، بل يذكر دائماً على أنه عقاب من الله. وقد ذُكر مرة أن الرب أرسل وبأ ثقيلاً جداً في المواشي[١]، وكان ذلك أيضاً عقاباً للإنسان "[٢].

والوبأ –بحسب العهد القديم– أحد صور العقاب التي أوقعها الله على شعبه (من بني إسرائيل) قديماً لإهمالهم السلوك في وصايا عهده معهم[٣]. وهذا هو السبب في كثرة ورود كلمة " وبأ " في نبوتي إرميا وحزقيال كماتقدم، اللذين كانا يقيمان دعوى الله ضد الشعب المرتد ، مما جعل الرب يصدر حكمه عليهم ، وقد أنذرهم النبيان بأن تنفيذ الحكم وشيك .

كما كان الوبأ يذكر دائماً مصاحباً للسيف والجوع ، وهذه الثلاثة أغلب أنواع العقاب، التي يتوعد الله بها وهي على الترتيب: السيف، والمجاعة، والوبأ. ويعلل الباحثون هذا الترتيب الذي ورد في سفر حزقيال[٤] بقولهم:

" وهناك سبب يدعو إلى هذا الترتيب. فالحرب تندلع نيرانها ولا يتمكن سكان البلاد المغزوة أن يفلحوا حقولهم ويزرعوها، فإذا فعلوا ذلك فإن الغزاة يحصدون غلات الأرض أو يتلفونها، ثم يغير الغزاة على المدن المفتوحة ويتعمدون قطع الزاد عنها لإكراهها على التسليم، فتحدث مجاعة في المدن والبلاد. وقد تسبب المجاعات، والمجازر، والأحوال غير الصحية في المدن المحاصرة وبأ ، قد ينتشر بسرعة ويهلك كثيرين قبل التمكن من إيقافه واستئصاله " [٥] .

ولا يذكر الكتاب المقدس –عند اليهود والنصارى– نوع الوبأ في كل حالة ، فقد ضرب الرب الفلسطينيين الذين أخذوا " تابوت الله " بالبواسير[٦] .

وعندما أحصى داود –عليه السلام– شعب بني إسرائيل " جعل الرب وبأ في إسرائيل من الصباح إلى الميعاد ، فمات من الشعب من دان إلى بئر سبعٍ سبعون ألف رجل "[٧] مما يدل على شدة الوبأ وخطورته. ولعل ذلك الوبأ كان الكوليرا أو الطاعون أو التيفوس أو غيرها[٨].

---

(١) انظر: سفر الخروج (٩ : ٣) .
(٢) دائرة المعارف الكتابية (٨/ ١٨٧).
(٣) انظر: (خروج ٥ : ٢٣ ، لاويين ٢٦ : ٢٥ ، تثنية ٢٨ : ٢١)
(٤) انظر: حزقيال (٦: ١١).
(٥) قاموس الكتاب المقدس : ١٠١٦
(٦) انظر: (١ صموئيل ٥) .
(٧) (٢ صموئيل ٢٤ : ١٣ – ١٥) وسيأتي الحديث عن هذه المسألة .
(٨) دائرة المعارف الكتابية : (١٨٨/٨).

أما في العهد الجديد فالكلمة اليونانية المستخدمة للدلالة على الوبأ هي " لويموس " (Laimos) ، وقد وردت الإشارة للوباء ضمن حديث المسيح -عليه السلام- عما سيحدث على الأرض قبيل مجيئه إليها ثانية ، وهي العودة التي سيكون معها يوم الحساب كمايعتقد النصارى[١] .

كما ذكّر بولس الناس بالوباءَ الذي جاء نتيجة خيانة شعب موسى للرَّب عندما زنوا مع بنات موآب ووقعوا في وثنيتهن[٢] ويطلب من الناس أن لايقعوا في مثل ماوقع فيه أولئك، وأن لايجربوا المسيح في ذلك بل أن يعودوا إليه وحده ويهربوا من عبادة الأوثان[٣].

وسيأتي الحديث مفصلاً عن أسباب وقوع الأوبئة ، ومنهج التعامل معها في المصادر الكتابية.

(١) انظر: (متى ٢٤ : ٧ و ٨ ، أنظر أيضاً لوقا ٢١ : ١١) .

(٢) انظر: (العدد ٣١: ١٦) .

(٣) انظر: (١ كورنثوس ١٠: ٨ – ١٤) وهذا القول منهم بناء على عقيدة النصارى في تأليه المسيح عليه السلام -تعالى الله عن قولهم- .

الفصل الثاني : أسباب الأوبئة في مصادر الديانات الكتابية .

تعددت أسباب الأوبئة وما في معناها في مصادر الديانات الكتابية ومن أشهر الأسباب هذه :

- أولاً: العقاب الإلهي لمن خالف أمر الله تعالى ممن كذب بالله تعالى وآياته وكتبه، أو ممن آمن به لكن خالف أمره في بعض المواضع مع اختلاف الحال بين الفريقين .
- الثاني: الرحمة والابتلاء من الله تعالى. إذ يلفت تعالى الناس في هذه المصادر إلى أهمية الرجوع إليه وترك مخالفة أمره من خلال الابتلاء بأنواعه المختلفة، ومنها الأوبئة حتى إذا ماعادوا إليه كان ذلك رحمة بهم إما في الدنيا برفع الوباء عنهم أو في الآخرة بتكفير خطاياهم .
- الثالث من الأسباب: كون هذه الأوبئة علامات ومقدمات لليوم الآخر الذين تؤمن به كل الديانات الكتابية مع اختلاف المصادر بينها في تفاصيله -كماسيأتي- بسبب ماطرأ على مصادر أهل الكتاب من التغيير .

وسنتناول في هذا الفصل بإذن الله هذه الأسباب الثلاثة وشواهدها في المصادر اليهودية والنصرانية والإسلامية من خلال المباحث التالية :

المبحث الأول : العقاب الإلهي .

ارتبط الوباء في (العهد القديم) بالعقوبة والغضب الإلهي حتى لايكاد يذكر سبب آخر لذلك[1]، وتنوعت أسباب العقوبة حسب القصص والأحداث التي يرويها العهد القديم فمن ذلك مايلي:

١. الاستكبار على الله ورفض طاعة أوامره.

ومن أعظم الأمثلة الواردة في من تجبر في هذا الأمر وطغى فيه فرعون، وفي هذا السياق يذكر سفر الخروج وعيد الله تعالى إلى فرعون وتكبره برفض إطلاق سراح بني إسرائيل، ومماجاء فيه: " ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: بَكِّرْ فِي الصَّبَاحِ وَقِفْ أَمَامَ فِرْعَوْنَ وَقُلْ لَهُ: هكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ إِلهُ الْعِبْرَانِيِّينَ: أَطْلِقْ شَعْبِي لِيَعْبُدُونِي. لأَنِّي هذِهِ الْمَرَّةَ أُرْسِلُ جَمِيعَ ضَرَبَاتِي إِلَى قَلْبِكَ وَعَلَى عَبِيدِكَ وَشَعْبِكَ، لِكَيْ تَعْرِفَ أَنْ لَيْسَ مِثْلِي فِي كُلِّ الأَرْضِ. فَإِنَّهُ الآنَ لَوْ كُنْتُ أَمُدُّ يَدِي وَأَضْرِبُكَ وَشَعْبَكَ بِالْوَبَإِ، لَكُنْتَ تُبَادُ مِنَ الأَرْضِ"[2].

(١) انظر: دائرة المعارف الكتابية: (١٨٧/٨).

(٢) خرو ٩: ١٣-١٥ .

ويذكر سفر الخروج –أيضاً– أن الله تعالى أرسل على فرعون وقومه عقوبات أو ضربات –كماهو النص المذكور– كان الهدف منها أن يمتثل فرعون لأمر الله تعالى ويطلق شعب بني إسرائيل وهذه العقوبات هي: انقلاب ماء النهر دماً وموت السمك فيه ونتانة الماء[١] ثم فيضان النهر وخروج ضفادعه وملئها للبيوت[٢] ثم تلا ذلك ضرب هارون لتراب الأرض ليصبح بعوضاً يملأ جميع أرض مصر[٣]ثم إرسال الذباب عليهم[٤] ثم إنزال مطر بَبَرَد شديد[٥] تلاه جراد[٦] فظلام دامس في كل أرض مصر ثلاثة أيام[٧]وهو آخرها لكن مع كل هذه الضربات فإن قلب فرعون كان غليظاً في كل مرة فلم يطلق بني إسرائيل، وأن هذه الغلظة كانت بتشديد من الرب تعالى على قلب فرعون[٨].

وقد جاء ضمن هذه الضربات ذكر الوباء –صريحاً– وأنه سيكون على مواشي فرعون دون مواشي بني إسرائيل كنوع من العقوبة لهم: " فَإِنَّهُ إِنْ كُنْتَ تَأْبَى أَنْ تُطْلِقَهُمْ وَكُنْتَ تُمْسِكُهُمْ بَعْدُ. فَهَا يَدُ الرَّبِّ تَكُونُ عَلَى مَوَاشِيكَ الَّتِي فِي الْحَقْلِ، عَلَى الْخَيْلِ وَالْحَمِيرِ وَالْجِمَالِ وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ، وَبَأً ثَقِيلاً جِدًّا. وَيُمَيِّزُ الرَّبُّ بَيْنَ مَوَاشِي إِسْرَائِيلَ وَمَوَاشِي الْمِصْرِيِّينَ، فَلاَ يَمُوتُ مِنْ كُلِّ مَا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ شَيْءٌ. وَعَيَّنَ الرَّبُّ وَقْتًا قَائِلاً: «غَدًا يَفْعَلُ الرَّبُّ هذَا الأَمْرَ فِي الأَرْضِ. فَفَعَلَ الرَّبُّ هذَا الأَمْرَ فِي الْغَدِ. فَمَاتَتْ جَمِيعُ مَوَاشِي الْمِصْرِيِّينَ، وَأَمَّا مَوَاشِي بَنِي إِسْرَائِيلَ فَلَمْ يَمُتْ مِنْهَا وَاحِدٌ"[٩].

وكذلك جاءت الإشارة إلى مايشبه الوباء وهي دمامل وبثور تطلع في الناس وفي البهائم أصابت قوم فرعون ضمن الضربات التي سبقت الإشارة إليها:

" ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى وَهَارُونَ: «خُذَا مِلْءَ أَيْدِيكُمَا مِنْ رَمَادِ الأَتُونِ، وَلْيُذَرِّهِ مُوسَى نَحْوَ السَّمَاءِ أَمَامَ عَيْنَيْ فِرْعَوْنَ، لِيَصِيرَ غُبَارًا عَلَى كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ. فَيَصِيرَ عَلَى النَّاسِ وَعَلَى الْبَهَائِمِ دَمَامِلَ طَالِعَةً بِبُثُورٍ فِي كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ. فَأَخَذَا رَمَادَ الأَتُونِ وَوَقَفَا أَمَامَ فِرْعَوْنَ، وَذَرَّاهُ مُوسَى نَحْوَ السَّمَاءِ، فَصَارَ دَمَامِلَ بُثُورٍ طَالِعَةً فِي النَّاسِ وَفِي الْبَهَائِمِ. وَلَمْ يَسْتَطِعِ الْعَرَّافُونَ أَنْ يَقِفُوا أَمَامَ مُوسَى مِنْ أَجْلِ الدَّمَامِلِ، لأَنَّ الدَّمَامِلَ كَانَتْ فِي الْعَرَّافِينَ

(١) انظر: خروج ٧: ١٧-٢١ .
(٢) انظر: خروج ٨: ٢-١٣ .
(٣) انظر: خروج ٨: ١٦-١٨ .
(٤) انظر: خروج ٨: ٢١-٣١ .
(٥) انظر: خروج ٩: ١٨ .
(٦) انظر: خروج ١٠: ١٣ .
(٧) انظر: خروج ١٠: ٢٢ .
(٨) انظر: حروج ١٠ : ٢٧.
(٩) الخروج ٩: ٢-٦.

وَفِي كُلِّ الْمِصْرِيِّينَ. وَلَكِنْ شَدَّدَ الرَّبُّ قَلْبَ فِرْعَوْنَ فَلَمْ يَسْمَعْ لَهُمَا، كَمَا كَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى[١]"[٢].

٢. الوباء بسبب ترك التأدب مع الله ومخالفة أمره ولوكان من المؤمنين به .

فالوباء في العهد القديم لايصيب الأعداءَ فحسب بل يعاقب به أيضاً أتباع موسى عليه السلام حين لايتأدبون مع الله ويخالفون أمره كماجاء في سفر اللاويين: " وَإِنْ لَمْ تَتَأَدَّبُوا مِنِّي بِذلِكَ، بَلْ سَلَكْتُمْ مَعِي بِالْخِلاَفِ. فَإِنِّي أَنَا أَسْلُكُ مَعَكُمْ بِالْخِلاَفِ، وَأَضْرِبُكُمْ سَبْعَةَ أَضْعَافٍ حَسَبَ خَطَايَاكُمْ. أَجْلِبُ عَلَيْكُمْ سَيْفًا يَنْتَقِمُ نَقْمَةَ الْمِيثَاقِ، فَتَجْتَمِعُونَ إِلَى مُدُنِكُمْ وَأُرْسِلُ فِي وَسَطِكُمُ الْوَبَأَ فَتُدْفَعُونَ بِيَدِ الْعَدُوِّ "[٣].

٣. عصيان الله تعالى والتذمر من أوامره .

فالوباءُ هو من لعنات عصيان الله كماجاء في سفر التثنية : " يُرْسِلُ الرَّبُّ عَلَيْكَ اللَّعْنَ وَالاضْطِرَابَ وَالزَّجْرَ فِي كُلِّ مَا تَمْتَدُّ إِلَيْهِ يَدُكَ لِتَعْمَلَهُ، حَتَّى تَهْلِكَ وَتَفْنَى سَرِيعًا مِنْ أَجْلِ سُوْءِ أَفْعَالِكَ إِذْ تَرَكْتَنِي. يُلْصِقُ بِكَ الرَّبُّ الْوَبَأَ حَتَّى يُبِيدَكَ عَنِ الأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ دَاخِلٌ إِلَيْهَا لِكَيْ تَمْتَلِكَهَا[٤].

ويأتي الوباء كعقوبة جماعية لمن ترك التزام أمر الله والسير في طريقه: "وَأَضْرِبُ سُكَّانَ هذِهِ الْمَدِينَةِ، النَّاسَ وَالْبَهَائِمَ مَعًا. بِوَبَإٍ عَظِيمٍ يَمُوتُونَ "[٥].

ويذكر سفر العدد أنه بعد خروج بني إسرائيل من مصر مع موسى عليه السلام بدؤوا يتذمرون من الأرض التي وصلوا لها [٦] وتمنوا لو عادوا إلى مصر، وحينها قال لهما موسى وهارون عليهما السلام: أن يدخلوا أرض كنعان فهي جيدة جداً جداً ، وأن الرب إن سُر منهم سيدخلهم إياها بشرط أن لايتمردوا على الرب ولايخافوا من شعب هذه الأرض، وبدلاً عن الاستماع لهما قرر بنو إسرائيل: أن يرجموا موسى وهارون[٧] وحينها خاطب الرب موسى عليه السلام قائلاً له :

" حَتَّى مَتَى يُهِينُنِي هذَا الشَّعْبُ؟ وَحَتَّى مَتَى لاَ يُصَدِّقُونَنِي بِجَمِيعِ الآيَاتِ الَّتِي عَمِلْتُ فِي وَسَطِهِمْ . إِنِّي أَضْرِبُهُمْ بِالْوَبَإِ وَأُبِيدُهُمْ، وَأُصَيِّرُكَ شَعْبًا أَكْبَرَ وَأَعْظَمَ مِنْهُمْ"[٨].

(١) أي كما أخبره سابقاً بأنه سيغلظ ويشدد قلب فرعون فلايستجيب لحكمة أرادها تعالى وهي إهلاك فرعون وإظهار قوته تعالى وعجائبه أمامه وقومه. انظر: الخروج ٧: ٣-٥ .

(٢) الخروج ٩: ٨-١٢.

(٣) اللاويين ٢٦: ٢٣-٢٥ .

(٤) التثنية ٢٨: ٢٠-٢١ .

(٥) إرميا ٢١ : ٦ .

(٦) انظر: العدد ١٤: ٢.

(٧) انظر: العدد ١٤: ١٠.

(٨) العدد ١٤: ١١-١٢ .

وقد جاء في نفس السفر أن موسى عليه السلام شفع لبني إسرائيل بعد ذلك حتى توقف الوبأ[١] .

٤. الوقوع في الشرك والوثنية وعبادة غير الله .

فقد جاء الوباء كعقوبة لبني إسرائيل حين جمعوا بين معصية الزنى والشرك في الأوثان ، حيث يذكر سفر العدد أن بني إسرائيل وقعوا في الزنى مع بنات موآب وأنهن دعونهم إلى الذبح لآلهتهن والسجود لها ففعلوا [٢]، ولم يتوقف الوباء إلا حين قام أحد الكهنة – بفعل الغيرة لله– بقتل أحد رجال بني إسرائيل والمرأة التي كانت معه فحينها هدأ سخط الرب عن بني إسرائيل بعد أن مات بالوبأ أربعة وعشرون ألفاً:

" فَلَمَّا رَأَى ذلِكَ فِينْحَاسُ بْنُ أَلِعَازَارَ بْنِ هَارُونَ الْكَاهِنُ، قَامَ مِنْ وَسَطِ الْجَمَاعَةِ وَأَخَذَ رُمْحًا بِيَدِه.

وَدَخَلَ وَرَاءَ الرَّجُلِ الإِسْرَائِيلِيِّ إِلَى الْقُبَّةِ وَطَعَنَ كِلَيْهِمَا، الرَّجُلَ الإِسْرَائِيلِيَّ وَالْمَرْأَةَ فِي بَطْنِهَا. فَامْتَنَعَ الْوَبَأُ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ. وَكَانَ الَّذِينَ مَاتُوا بِالْوَبَإِ أَرْبَعَةً وَعِشْرِينَ أَلْفًا. فَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: فِينْحَاسُ بْنُ أَلِعَازَارَ بْنِ هَارُونَ الْكَاهِنُ قَدْ رَدَّ سَخَطِي عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِكَوْنِهِ غَارَ غَيْرَتِي فِي وَسَطِهِمْ حَتَّى لَمْ أُفْنِ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِغَيْرَتِي"[٣].

٥. إخافة أعداء الله واستعادة ما أخذوه من المقدسات .

وفي هذا السياق يذكر العهد القديم ماحصل في زمن صموئيل آخر القضاة حين خسر بنو إسرائيل الحرب أمام الفلسطينيين، وخسروا أيضاً تابوت الرّب الذي أخذه الفلسطينيون فضربهم اللهُ بمرض البواسير. وحينها اضطربوا وخافوا من الموت فصرخوا إلى السماء، وقرروا ألا يقسّوا قلوبَهم كما أغلظ فرعونُ قلبَه[٤] ، وقد توقف هذا الأمر بعد أن أعاد الفلستيون التابوت وقدموا معه القرابين[٥].

٦. تخويف المؤمنين بعدم الاعتماد على قوتهم والتوكل على الله .

جاء في سفر صموئيل الثاني أن الله تعالى طلب من داود عليه السلام[٦] أن يحصي عدد الشعب من إسرائيل ويهوذا [٧] وبعد تسعة أشهر وعشرين يوماً أنهى رؤساء

(١) العدد ١٤: ١٩-٢٠ .
(٢) انظر: العدد ٢٥: ٢ .
(٣) العدد ٢٥: ٧-١١.
(٤) انظر: صموئيل الأول ٥: ١ ومابعده .
(٥) انظر: صموئيل الأول ٦ : ٣ .
(٦) ويوصف في العهد القديم بالملك وكذلك سليمان عليهما السلام .
(٧) انظر: صموئيل الثاني ٢٤: ١-٢ .

جيش الملك داود مالديهم فإذا هم ثمان مئة ألف من إسرائيل وخمسمائة ألف من يهوذا من الرجال المقاتلين(١).

ويذكر السفر أن داود عليه السلام ندم بعد هذا الإحصاء(٢) وقد اختلفت آراء الشراح النصارى في سبب هذا الندم مع أن الله تعالى هو من أمره بالإحصاء ، ولعل أقربها للمعقول(٣) أن داود عليه السلام بعد الإحصاء ربما داخلته نية عظمة الجيش وقوته وأن ذلك سيساعده في قصد حروب جديدة وقهر شعوب أخرى دون الاتكال على الرب ولما شاركه شعبه في ذلك شملتهم العقوبة(٤)

وجاء في السفر أن الله خير داود عليه السلام بين ثلاث عقوبات: الجوع سبع سنين في أرضه ، أو يهرب من أعداءه ثلاثة أشهر وهم يتبعونه ، أو أن يصيب أرضه الوبأ ثلاثة أيام فاختار الأخير ، وقال أسقط في يد الرب ولا أسقط في يد إنسان(٥) فوقع الوباء في أرض إسرائيل كماجاء في سفر صموئيل:

" فَجَعَلَ الرَّبُّ وَبَأً فِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الصَّبَاحِ إِلَى الْمِيعَادِ، فَمَاتَ مِنَ الشَّعْبِ مِنْ دَانٍ إِلَى بِئْرِ سَبْعٍ سَبْعُونَ أَلْفَ رَجُل "(٦). ولم يتوقف الوباء حتى بنى داود مذبحاً للرب وقدم فيه القرابين:

" وَبَنَى دَاوُدُ هُنَاكَ مَذْبَحًا لِلرَّبِّ وَأَصْعَدَ مُحْرَقَاتٍ وَذَبَائِحَ سَلاَمَةٍ، وَاسْتَجَابَ الرَّبُّ مِنْ أَجْلِ الأَرْضِ، فَكَفَّتِ الضَّرْبَةُ عَنْ إِسْرَائِيلَ"(٧).

- أما في (العهد الجديد) فمع قلة ورود مصطلح الوباء إلا أنه قد جاء فيه التحذير ممايثير عقوبة الله، ويكون سبباً لنزول الوباء المذكور في العهد القديم، ويذكر العهد الجديد أن بولس(٨) قد حذر الناس من الوقوع في عبادة غير الله ومشاركة الوثنين في أعمالهم ، وذكَّر الناس بالوباء الذي جاء نتيجة خيانة شعب موسى للرَّب عندما زنوا مع بنات موآب ووقعوا في وثنيتهن(٩) ويطلب من الناس أن لايقعوا في مثل

(١) انظر: صموئيل الثاني ٢٤: ٨-٩ .

(٢) انظر: صموئيل الثاني ٢٤: ١٠ .

(٣) لاأعلم في النصوص الإسلامية مايثبت أو ينفي ذلك، ومثل هذا الأمر من صغائر المخالفات قد يقع من الأنبياء عليهم السلام لكنهم لايصرون عليها بل يظهرون التوبة والرجوع كماذكر تعالى عن غير واحد من الأنبياء عليهم السلام في القرآن وهكذا مانسب إلى داود عليه السلام هنا ، والله تعالى أعلم.

(٤) أشار إلى هذا وليم مارش في تعليقه على هذا الموضع من سفر صموئيل ضمن نسخة الكتاب المقدس.

(٥) انظر: صموئيل الثاني ٢٤: ١٣-١٤ .

(٦) صموئيل الثاني ٢٤: ١٥ .

(٧) صموئيل الثاني ٢٤: ٢٥ .

(٨) وكان اسمه في اليهودية شاؤول ، ويلقبه النصارى بالرسول على الرغم من أنه لم يكن من تلاميذ المسيح، وقد كان بولس في بداية أمره من أشدّ الناس اضطهاداً وتعذيباً لأتباع المسيح عليه السلام، ثم زعم بولس وهو طريقه إلى دمشق بأن المسيح قد ظهر له يقظة وأمره باتباعه وتبليغ رسالته إلى الأمم ، وبذلك أصبح بولس من أكبر الدعاة فأخذ يطوف البلاد وينشأ الكنائس ويلقي الخطب ويكتب الرسائل حتّى قتل في اضطهاد نيرون سنة ٦٧ أو ٦٨م، وتنسب إليه (١٤) رسالة من أسفار العهد الجديد تعتبر مصدراً رئيساً للعقائد والتشريعات النصرانية المحرفة. انظر: المسيحية نشأتها وتطورها، شارل جينبر ص ٦٧-١١١، وتاريخ المسيحية (فجر المسيحية) حبيب سعيد ص ٤٠-٤٥.

(٩) انظر: العدد ٢٥: ٢ .

ماوقع فيه أولئك، وأن لايجربوا المسيح في ذلك بل أن يعودوا إليه وحده ويهربوا من عبادة الأوثان، يقول بولس:

" فَلاَ تَكُونُوا عَبَدَةَ أَوْثَانٍ كَمَا كَانَ أُنَاسٌ مِنْهُمْ، كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ:«جَلَسَ الشَّعْبُ لِلأَكْلِ وَالشُّرْبِ، ثُمَّ قَامُوا لِلَّعِبِ» . وَلاَ نَزْنِ كَمَا زَنَى أُنَاسٌ مِنْهُمْ، فَسَقَطَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ ثَلاَثَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا. وَلاَ نُجَرِّبِ الْمَسِيحَ كَمَا جَرَّبَ أَيْضًا أُنَاسٌ مِنْهُمْ، فَأَهْلَكَتْهُمُ الْحَيَّاتُ (١)".

كما نهى الناس عن التذمر من الله كماحصل من قوم موسى حين تذمروا (٢)فأهلكهم الله بالوباء(٣) وأن عليهم أن يأخذوا العبرة من ذلك، يقول بولس:

" وَلاَ تَتَذَمَّرُوا كَمَا تَذَمَّرَ أَيْضًا أُنَاسٌ مِنْهُمْ، فَأَهْلَكَهُمُ الْمُهْلِكُ . فَهذِهِ الأُمُورُ جَمِيعُهَا أَصَابَتْهُمْ مِثَالاً، وَكُتِبَتْ لإِنْذَارِنَا نَحْنُ الَّذِينَ انْتَهَتْ إِلَيْنَا أَوَاخِرُ الدُّهُورِ. إِذًا مَنْ يَظُنُّ أَنَّهُ قَائِمٌ، فَلْيَنْظُرْ أَنْ لاَ يَسْقُطَ. لَمْ تُصِبْكُمْ تَجْرِبَةٌ إِلاَّ بَشَرِيَّةٌ. وَلكِنَّ اللهَ أَمِينٌ، الَّذِي لاَ يَدَعُكُمْ تُجَرَّبُونَ فَوْقَ مَا تَسْتَطِيعُونَ، بَلْ سَيَجْعَلُ مَعَ التَّجْرِبَةِ أَيْضًا الْمَنْفَذَ، لِتَسْتَطِيعُوا أَنْ تَحْتَمِلُوا. لِذلِكَ يَا أَحِبَّائِي اهْرُبُوا مِنْ عِبَادَةِ الأَوْثَانِ"(٤).

فبولس يطلب من أتباع المسيح عدة أمور:

أولاً: التأملُ في الأوبئةِ يجب أن يقودنا إلى الهروب من عبادة الأوثان وإلى عبادة الله وحده(٥).

ثانياً: الوباءُ إنذارٌ للبشر ودعوةٌ للرجوع إلى الله.

ثالثاً: الوباءُ دعوةٌ للقداسة وعدم السُّقوط في الخطيئة.

رابعاً: الوباءُ دعوةٌ للثّقة بأمانة الله وبمعرفته لمقدار تحمّلنا، ونثق أنّه سيُمكّننا من الاحتمال ومن الوصول إلى المنفذ(٦).

ولايقتصر التحذير من عقوبة الوباء الوارد في العهد القديم على بولس فقد ذكر العهد الجديد تحذيراً آخر على يد "بطرس الرسول" الذي علق على خيانة بلعام بن بصور – الذي أغوى قوم موسى أن يزنوا ببنات مؤآب ويشاركونهن في الوثنية –كماتقدم– مقابل مكسب خبيث فكان الوباء عاقبتهم. يقول بطرس محذراً :

---

(١) كورنثوس الأولى ١٠ : ٧-١٠ .

(٢) تقدمت الإشارة إلى ذلك في النقطة ٣.

(٣) انظر: العدد ١٤: ١١-١٢ .

(٤) كورنثوس الأولى (١٠ : ١٠-١١) .

(٥) مع التنبيه إلى أن عبادة الله وحده لديهم هنا هي نفسها القول بألوهية الله والمسيح والروح القدس –تعالى الله عن قولهم– وهي عقيدة التثليث عند النصارى والتي تصادم العقول في جعل الثالوث واحداً والواحد ثالوثاً. انظر في نقدها: الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية، وإظهار الحق لرحمة الله الهندي.

(٦) الوباء في الكتاب المقدس، القس د.حنا كتشاشو، مقالة ضمن موقع كلية الناصرة الانجيلية (nazcol.org).

" قَدْ تَرَكُوا الطَّرِيقَ الْمُسْتَقِيمَ، فَضَلُّوا، تَابِعِينَ طَرِيقَ بَلْعَامَ بْنِ بَصُورَ الَّذِي أَحَبَّ أُجْرَةَ الإِثْمِ"(١).

- أما في المصادر الإسلامية فالوباء له عدة أسباب أحدها العقوبة الإلهية، فليس كل وباء عقوبة فمن الأوبئة ماهو رحمة من جهة مايترتب عليه من الأجر والثواب وسيأتي بيان ذلك.

وقد جاء في السنة النبوية الإخبار بأن الأوبئة من "العقوبات الإلهية" التي أصابت الأمم السابقة، والتي ستستمر في الظهور بين الفينة والأخرى.

فعن أسامة بن زيد ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن هذا الوباء رجز أهلك الله به الأمم قبلكم، وقد بقي منه في الأرض شيء يجيء أحياناً، ويذهب أحياناً.."(٢).

وقد جاء في القرآن مايشير إلى الأوبئة التي أصابت بعض الأمم السابقة، وأنها كانت ضمن العقوبات التي أوقعها تعالى بمن خالف أمره، فنجد ذكر العقوبات التي أوقعها تعالى بفرعون وقومة لما أظهروا الاستكبار في الأرض وأبو أن يستجيبوا لأمر الله تعالى –بشكل يقرب مماذكر في العهد القديم– كمايقول سبحانه: ﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ الأعراف: ١٣٣، وقد ذكر بعض المفسرين في معنى الطوفان هنا أنه الطاعون، أو الموت على كل حال(٣)، أو الموت المتتابع الذريع السريع(٤) وكلها من أمارات الوباء.

وقد ذكر تعالى أن فرعون وقومه مع توالي هذه العقوبات سألوا موسى عليه السلام أن يرفع عنهم هذه العقوبات مقابل إيمانهم وإرسالهم لبني إسرائيل معه لكنهم كانوا في كل في مرة يخلفون الله ماوعدوه فكانت آخر العقوبات هي إغراقهم في البحر كما قال تعالى:

﴿ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ هُمْ بَالِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿١٣٥﴾ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴾ الأعراف: ١٣٤ – ١٣٦ .

(١) بطرس الثانية (٢: ١٥) .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (١٣٦/٣٦) حديث (٢١٨٠٦) وذكر المحقق: إن إسناده صحيح على شرط الشيخين، كماصححه الألباني في صحيح الجامع (٤٨١/١) .

(٣) روي عن مجاهد بن جبر رحمه الله، انظر: تفسير الطبري (٣٧٩/١٠) .

(٤) انظر: تفسير الطبري (٣٨١/١٠) .

كما جاء في القرآن أيضاً الإشارة إلى الوباء الذي أصاب بعض بني إسرائيل حين خالفوا أمر نبيهم وذلك في قوله تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ البقرة: ٢٤٣. فقد أورد الطبري رحمه الله في تفسير هذه الآية عن ابن عباس رضي الله عنهما أنهم كانوا أربعة آلاف خرجوا فراراً من الطاعون، فقالوا: نأتي أرضاً ليس فيها موت. حتى إذا كانوا بموضع كذا وكذا، قال لهم الله: موتوا ، فمر عليهم نبي من الأنبياء فدعا ربه أن يحييهم، فأحياهم. ثم تلا هذه الآية: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴾ [(١)].

وقد جاء في السنة أيضاً أن انتشار الفاحشة وشيوعها في الأمم قد تكون سبباً للعقوبات الإلهية ومنها الأوبئة ، ففي الحديث: « لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها، إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا..»[(٢)].

المبحث الثاني : الرحمة بالمؤمنين .

مع أن الوباء نوع من المرض إلا أن الله تعالى قد يجعل فيه جوانب من الرحمة بالناس عموماً، والمؤمنين على وجه الخصوص، ومن ذلك: رجوع الناس وتوبتهم وإنابتهم إليه ، وتكفير ذنوبهم ومخالفاتهم التي وقعوا فيها، وقد جاءت الإشارة إلى ذلك في مواضع من مصادر الديانات الكتابية .

فمن نماذج ذلك في (العهد القديم) مايلي:

جاء في أكثر من موضع أن الرب تعالى يسلط بعض المصائب ومنها الأوبئة على بني إسرائيل ليعودوا إليه ويعلنوا التوبة ، ففي سفر التثنية أن الرب يقول:

" وَلكِنْ إِنْ لَمْ تَسْمَعْ لِصَوْتِ الرَّبِّ إِلهِكَ لِتَحْرِصَ أَنْ تَعْمَلَ بِجَمِيعِ وَصَايَاهُ وَفَرَائِضِهِ الَّتِي أَنَا أُوصِيكَ بِهَا الْيَوْمَ، تَأْتِي عَلَيْكَ جَمِيعُ هذِهِ اللَّعَنَاتِ وَتُدْرِكُكَ[(٣)] ... يُرْسِلُ الرَّبُّ عَلَيْكَ اللَّعْنَ وَالاضْطِرَابَ وَالزَّجْرَ فِي كُلِّ مَا تَمْتَدُّ إِلَيْهِ يَدُكَ لِتَعْمَلَهُ، حَتَّى تَهْلِكَ وَتَفْنَى سَرِيعًا مِنْ أَجْلِ سُوْءِ أَفْعَالِكَ إِذْ تَرَكْتَنِي. يُلْصِقُ بِكَ الرَّبُّ **الْوَبَأَ** حَتَّى يُبِيدَكَ عَنِ الأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ دَاخِلٌ إِلَيْهَا لِكَيْ تَمْتَلِكَهَا"[(٤)].

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٤١٤/٤) .

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه ٤٠١٩ (١٤٩/٥) والبزار في مسنده (٣١٥/١٢) والطبراني في معجمه (٦١/٥) والحاكم في مستدركه (٥٨٢/٤) وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه» ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٤٦٨/١) وصحيح الجامع الصغير وزيادته (١٣٢١/٢) .

(٣) التثنية (١٥/٢٨) .

(٤) المرجع السابق (٢٠/٢٨-٢١) .

وفي سفر الملوك الثاني الإصحاح الخامس نقرأ قصة نعمان[١]، قائد جيش ملك أرام الذي كان جباراً صاحب بأس شديد، وكان يشكو من داء البرص الذي لم يعرف له علاج، وكانت أَمَةُ زوجته من بني إسرائيل فقالت لمولاتها: لو أتى سيدي للنبي الذي في السامرة فإنه يشفيه من البرص تشير بذلك إلى النبي إليشع –بحسب ماورد في السفر– فكان أن ذهب نعمان إلى بيت إليشع فأمره النبي أن يذهب ويغتسل سبع مرات في نهر الأردن فعمل نعمان –بعد تردد واعتراض– بما أمره به النبي وبعدها شفي ورجع لحمه ولونه كالطفل الصغير، وحينها أعلن نعمان إيمانه بالله تعالى ووقف أمام النبي شاكراً له وهو يقول :

" هُوَذَا قَدْ عَرَفْتُ أَنَّهُ لَيْسَ إِلهٌ فِي كُلِّ الأَرْضِ إِلاَّ فِي إِسْرَائِيلَ " [٢]. فالرحمة الإلهية هنا تجلت في أن كان هذا المرض سبباً في إيمان هذا القائد الجبار بالله تعالى وتواضعه أمامه حين أحس بضعفه ، وأنه لايملك الشفاء والنفع والضر على الحقيقة إلا إله واحد لاشريك له وهو الله تعالى.

وقد تقدم في المبحث السابق أن العقوبات التي سلطها تعالى على بني إسرائيل مراراً كان تعالى يلفت فيها النظر في كل مرة إلى أن ذلك كان بسبب بغيهم وخروجهم عن طريق الحق والطاعة ، ثم كان أن رفعها تعالى عنهم بعد أن عادوا إلى الله تعالى تائبين[٣] كماجاء في العهد القديم أيضاً التحذير من أن الأوبئة ستتكرر في المستقبل حين ظهور الخطايا وعدم التوبة منها[٤] .

وأما في (العهد الجديد) فقد أشار المسيح –عليه السلام– إلى بعض أسباب المرض ، والتي منها إظهار قدرة الله عزوجل ، فعندما سُئل عن سبب وقوع أحدهم في عمى البصر قال:

" لا هذا أخطأ ولا أبواه لكن لتظهر اعمال الله فيه"[٥] أي قدرته تعالى في خلقه.

وجاء في العهد الجديد أيضاً أن هذه الأمراض قد يكون فيها رحمة بالمؤمن من جهة الكف عن الخطايا كما في قول بطرس: " فان من تألم في الجسد كفّ عن الخطية"[٦].

(١) الملوك الثاني : (٥/١– ١٥) .
(٢) الملوك الثاني: (٥/ ١٥) .
(٣) انظر الأسفار التالية: الخروج : (٩/١–٣) واللاويين: (١٣/٣–٦) والعدد: (١٦/٤١–٥٠) وصموئيل الثاني: (٢٤/١)
(٤) انظر الأسفار: حزقيال (٦/١١–١٢) وعاموس (٣/١، ٧) و(٤/١٠)و(٥/٦) والتثنية (٢٨/٥٨–٦٢) .
(٥) يوحنا : (٩/ ٣) .
(٦) بطرس الأولى: (١/ ٤) .

وجاء في إنجيل متى أن المسيح –عليه السلام– قُدم له شخص مريض بالفالج[1] فبين له أنه قد غفرت له خطاياه :

"وَإِذَا مَفْلُوجٌ يُقَدِّمُونَهُ إِلَيْهِ مَطْرُوحًا عَلَى فِرَاشٍ. فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ إِيمَانَهُمْ قَالَ لِلْمَفْلُوجِ: «ثِقْ يَا بُنَيَّ. مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ"[2].

وهكذا فمثل هذه الأوبئة والأمراض قد تكون رحمة للإنسان من جهة رجوعه عن خطاياه وتكفيراً لمامضى منها .

أما بالنسبة للمصادر الإسلامية فكما أن الأوبئة قد تكون عقوبات إلهية في حق من خالف أمر الله فكذلك هي من جوانب الرحمة الإلهية بالمؤمنين المحسنين، يشهد بذلك كثير من النصوص في الكتاب والسنة، فالابتلاء بالأمراض ومنها الأوبئة بالنسبة للمؤمن الصابر هو أحد أدلة محبة الله لعبده وإرادة الخير به ، وذلك باعتبار مايترتب على هذا الابتلاء من تكفير الخطايا ومحو السيئات واكتساب الحسنات ورفعة الدرجات.

فمن شواهد ذلك ماجاء في السنة مارواه أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قوماً ابتلاهم »[3] فالبلاء والأسقام إذاً متى كانت في حق من أحسن ما بينه وبين ربه فهي علامة خير ومحبة .

ومن الأوبئة الطاعون الذي ورد فيه حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطاعون فأخبرني أنه عذاب يبعثه الله على من يشاء وأن الله جعله رحمة للمؤمنين.."[4]. ويدل لهذا أيضاً ماجاء في النصوص من أن خير البشر من الأنبياء والرسل عليهم السلام تعرضوا لجملة من الابتلاءات ومنها الأسقام مع أنهم أحب الناس إلى الله تعالى، ففي القرآن يذكر الله تعالى ابتلاء أيوب عليه السلام ودعائه، وكيف نزلت به أنواع من رحمة الله بسبب ذلك: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ ﴾الأنبياء:٨٣-٨٤.

بل جاء في السنة أن أشد الابتلاء يقع على أفضل الناس منزلة وصلاحاً ففي الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئل : « أي الناس أشد بلاء؟ قال: الأنبياء ثم الأمثل

(١) في لسان العرب (٣٦٤/٢): داء معروف يرخي بعض البدن ، وبالمصطلح الحديث يسمى الشلل النصفي .

(٢) متى : (٢/ ٩) وجاء في هذا الإنجيل وغيره أن المسيح مسح المرضى بالبرص والجذام وغيرها من الأمراض فبرؤوا ، لكن ذلك لم يكن بصفته إلهاً وإنما كان بإذن الإله الخالق تعالى ومشيئته كما قال سبحانه في القرآن: (وإذا تبرئ الأكمه والأبرص بإذني ... إلخ .....

(٣) أخرجه الترمذي في سننه (٦٠١/٤) وابن ماجه (١٥٩/٥) وقال الأرناؤوط: حسن لغيره، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٧٦/١).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم (٣٤٧٤) (١٧٥/٤).

فالأمثل، فيبتلى الرجل على حسب دينه، فإن كان دينه صلباً اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة»[١] وفي الحديث الآخر: « ما من مسلم يصيبه أذى من مرض فما سواه إلا حط الله به من سيئاته كما تحط الشجرة من ورقها »[٢] ولهذا فقد جاء في السنة أيضاً النهي عن سب المرض لأجل خشية الوقوع في معارضة قدر الله، ولما في المرض من الأجر للمؤمن، كما قال صلى الله عليه وسلم: « لا تسبي الحُمى، فإنها تذهب خطايا بني آدم كمايذهب الكير خبث الحديد »[٣].

ومن مظاهر رحمة الله بالمؤمنين عند المرض في الإسلام تخفيف التكاليف الشرعية على المؤمن لقوله تعالى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ ﴾ التغابن: ١٦. وقوله : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا ﴾ البقرة: ٢٨٦. وقال صلى الله عليه وسلم لعمران بن حصين رضي الله عنهما: ((صلِّ قائمًا، فإن لم تستطع فقاعدًا، فإن لم تستطع فعلى جنبٍ))[٤].

ومن مظاهر الرحمة استمرار ثواب طاعات المؤمن التي كان يعملها حال الصحة وعجز عنها بسبب المرض لماجاء في الحديث: « إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيماً صحيحاً »[٥].

ومن جوانب الرحمة الإسلامية بالمريض وخصوصاً في الأمراض الفتاكة –ومنها الأوبئة والطواعين– أن جعل تعالى المتوفي بها صابراً محتسباً في منزلة الشهيد الذي يقاتل دفاعاً عن دين الله تعالى كما جاء في الحديث: « الشهادة سبع سوى القتل في سبيل الله: المطعون شهيد، والغرق شهيد، وصاحب ذات الجنب شهيد، والمبطون شهيد، وصاحب الحريق شهيد، والذي يموت تحت الهدم شهيد، والمرأة تموت بجمع شهيدة»[٦].

فهذه نماذج تظهر معها جوانب متنوعة من الرحمة الإلهية بالمؤمنين عند الأمراض ومنها الأوبئة ، والتي تعكس كمال الشرع الإسلامي في التعامل مع المرض والمريض .

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه (١٧٩/٤) والإمام أحمد في مسنده (١٥٩/٣) وقال محققه: إسناده حسن، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٧٣/١).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم (٢٥٧١) (١٩٩١/٤).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم (٢٥٧٥) (١٩٩٣/٤).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم (١١١٧) (٤٨/٢) .

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم (٢٩٩٦) (٥٧/٤) .

(٦) أخرجه الإمام أحمد في مسنده حديث(٢٣٧٥٣) وقال محققه: حديث صحيح، عتيك بن الحارث بن عتيك ذكره ابن حبان في "ثقاته" وصحح حديثه هذا، ورواية مالك لحديثه في "الموطأ" تقوية له، وباقي رجال الإسناد ثقات رجال الشيخين غير صحابي الحديث، فقد خرج له أبو داود والنسائي. والمطعون: الميت بالطاعون. والغرق –بفتح الغين وكسر الراء–: الذي يموت غريقا في الماء. وذات الجنب: هو التهاب في الغشاء المحيط بالرئة. والمبطون: هو الذي يموت بمرض بطنه كالإسهال والاستسقاء ونحوهما.وقوله: "المرأة تموت بجمع" بضم الجيم وسكون الميم: الميتة في النفاس وولدها في بطنها لم تلده وقد تم خلقه، وقيل: هي التي تموت من الولادة سواء ألقت ولدها أم لا. (١٦٢/٣٩) .

المبحث الثالث : اقتراب اليوم الآخر .

جاءت في مصادر الديانات الكتابية بعض الإشارات إلى أن الأوبئة وماشابهها قد تكون من علامات اقتراب اليوم الآخر وقد ورد بذلك جمع من النصوص .

ففي (العهد القديم) يحذر الرب بني إسرائيل بأنه هناك أمراضاً مروعة ستصيبهم في المستقبل إن لم يتوبوا ويرجعوا عن خطاياهم: " وَلكِنْ إِنْ لَمْ تَسْمَعْ لِصَوْتِ الرَّبِّ إِلهِكَ لِتَحْرِصَ أَنْ تَعْمَلَ بِجَمِيعِ وَصَايَاهُ وَفَرَائِضِهِ الَّتِي أَنَا أُوصِيكَ بِهَا الْيَوْمَ، تَأْتِي عَلَيْكَ جَمِيعُ هذِهِ اللَّعَنَاتِ وَتُدْرِكُكَ"[1] ومن هذه اللعنات يرد ذكر الأوبئة: " يُلْصِقُ بِكَ الرَّبُّ الْوَبَأَ حَتَّى يُبِيدَكَ عَنِ الأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ دَاخِلٌ إِلَيْهَا لِكَيْ تَمْتَلِكَهَا"[2].

وجاء في سفر حزقيال عند ذكر الأحداث التي تكون في آخر الزمان وتحديداً وقت خروج يأجوج ومأجوج ومهاجمتهم بجيوشهم بني إسرائيل[3] أن الله سيسلط عقوبات عليهم تظهر قدرة الله ومنها معاقبتهم بالأوبئة :

" وَأُعَاقِبُهُ بِالْوَبَإِ وَبِالدَّمِ، وَأُمْطِرُ عَلَيْهِ وَعَلَى جَيْشِهِ وَعَلَى الشُّعُوبِ الْكَثِيرَةِ الَّذِينَ مَعَهُ مَطَرًا جَارِفًا وَحِجَارَةَ بَرَدٍ عَظِيمَةً وَنَارًا وَكِبْرِيتًا "[4].

أما في (العهد الجديد) فارتباط الأوبئة باليوم الآخر أكثر وضوحاً : ففي الأناجيل ، يحذر المسيح –عليه السلام– تلاميذه من أن "الأوبئة" ستكون إحدى علامات "آخر أيام" تاريخ البشرية، وهي فترة تهز العالم ليستيقظ ويدرك أن مجيء المسيح بات وشيكاً بشكل متزايد [5].

وجاء في سفر رؤيا يوحنا في عدة مواضع[6] تحذير الرب من أن الأوبئة والضربات الرهيبة ستأتي إلى أمم الأرض ، وبحسب تفسيرات بعض علماء النصارى فإن مرجع

---

(١) التثنية : (١٥/ ٢٨) .

(٢) التثنية : (٢١/ ٢٨) .

(٣) انظر قصتهم في الاصحاح (٣٨ و٣٩) من سفر حزقيال .

(٤) حزقيال : (٢٢/ ٣٨) . وانظر أيضاً: سفر حزقيال (٦/١١-١٢) حيث يحذر النبي العبراني شعب يهوذا من أن الأمراض والأوبئة قادمة ، وفي نفس السفر (٢٨/٢٠-٢٤) يرد أن الرب حذر من أن مدينة صيدا (صيدون) ستصاب في المستقبل بأمراض مروعة بسبب الخطيئة التي لم تتم التوبة منها ، وفي سفر عاموس (٣/١، ٧) و(٤/١٠)و(٥/٦) يحذر الرب شعب إسرائيل من أنه سيضرب بأمراض مروعة بسبب عدم التوبة من الخطيئة أيضاً .

(٥) يؤمن النصارى بالعودة الثانية للمسيح في آخر الزمان وأنه سيحاسب الناس حينها وفقاً لعقيدتهم المحرفة في ألوهية المسيح وعقيدة التثليث إلخ ، وحرفوا لأجل ذلك معاني نصوصهم المحرفة في الأصل كمثل ماورد في إنجيل يوحنا : (٥/٢٦): "كما أن الأب له حياة في ذاته كذلك أعطى الابن أيضاً أن تكون له حياة في ذاته، وأعطاه سلطاناً أن يدين أيضاً لأنه ابن الإنسان"، بينما يؤمن المسلمون بأن هناك عودة ثانية للمسيح عيسى ابن مريم عليه السلام كعلامة من علامات الساعة الكبرى لكنه يحكم بشريعة الإسلام، وحينها لايبقى لنصراني شبهة في أن المسيح عليه السلام نبي مرسل يدعو إلى عبادة الله وحده. ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "والذي نفسي بيده؛ ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الحرب، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيراً من الدنيا وما فيها" ثم يقول أبو هريرة: "واقرؤوا إن شئتم: {وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً}النساء:١٥٩ انظر: صحيح البخاري (١٦٨/٤) وصحيح مسلم (١٣٥/١).

(٦) انظر: يوحنا (٨/٦) (٧/ ١٤) (٨/٩)

ذلك حكم الخالق على خطيئة بني آدم[١] وأن هذه الفترة ستكون قبل المجيء الثاني ليسوع المسيح ويسميها بعضهم: "الضيقة العظيمة"[٢]ومماجاء في ذلك من النصوص ضمن رؤيا يوحنا :

"فرأيت أمامي فَرَسًا شاحبَ اللَّون كالأموات، ورا كبه اسمه المَوت ويَجرُّ مَعَه العالَمَ السُّفليَّ. وقد أُذنَ له أن يَنالَ قُدرةً على إبادة ربع سكان الأرض بالسَّيف والجوع والوَباءِ ، وبوحوش الأرض الضارية"[٣]

أما في المصادر الإسلامية فقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى مايدل على الوباء ضمن علامات الساعة كما قال عليه الصلاة والسلام لعوف بن مالك رضي الله عنه: ((أُعدُدْ ستًّا بين يدي الساعةِ: مَوتي، ثم فتحُ بيتِ المقدسِ، ثم مُوتانٍ يأخذ فيكم كقُعاصِ الغنمِ ...))[٤] والموتان هنا في الحديث بمعنى الوباء. وهو في الأصل موت سريع يقع في الماشية، واستعماله في الإنسان تنبيه على وقوعه فيهم وقوعه في الماشية؛ فإنها تسلب حياتها سلباً سريعاً. وكان ذلك كماذكر أهل العلم في طاعون عمواس بجوار بيت المقدس زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وهو أول طاعون وقع في الإسلام، مات منه سبعون ألفاً في عدة أيام كماذكر أهل العلم[٥]. ودلت أحاديث أخرى عن النبي صلى الله عليه وسلم على أن كثيراً من الموت في مستقبل هذه الأمة سيكون بالقتل وبالأوبئة، وقد جُمعا في حديث عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول صلى الله عليه وسلم: «لَا تَفْنَى أُمَّتِي إِلَّا بِالطَّعْنِ وَالطَّاعُونِ» رواه أحمد[٦].

(١) يعتقد النصارى أن بني آدم ورثوا خطيئة الأكل من الشجرة عن أبيهم آدم حين خالف أمر الله في ذلك ومع أنهم بنوا على ذلك عقيدة الصلب والفداء على يد المسيح تكفيراً عن تلك الخطيئة إلا أنهم يرون استمرار إثم هذه الخطيئة. انظر في النقد: الجواب الصحيح لابن تيمية (١٠٧/٢) ومابعدها، دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، د.سعود الخلف، ص٣٢٧ ومابعدها.

(٢) يوحنا : (١٤/٧) وانظر مقال: ماذا يعلّم الكتاب المقدس عن الأوبئة، الضربات، والآفات العالمية؟ يوئيل روزنبرغ، آذار ٢٠٢٠ ttps://www.joshuafund.com/images/blog_uploads/FACTSHEET_-_Arabic.pdf

(٣) يوحنا : (٨/٦) .

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه (١٠١/٤) حديث رقم (٣١٧٦).

(٥) انظر: شرح المشكاة للطيبي (٣٤٢٥/١١) وشرح البخاري للكرماني (١٤٠/١٣) وعمدة القاري للعيني (١٠٠/١٥) .

(٦) مسند الإمام أحمد : (٤٧٤/٤١) وقال محققه: إسناده جيد .

الفصل الثالث : منهج التعامل مع الأوبئة في مصادر الديانات الكتابية .

المبحث الأول : إعلان التوبة والتزام شرع الله والإيمان به .

تتفق المصادر الكتابية على أن العقوبات الإلهية هي أحد أسباب الأوبئة، بل إن (العهد القديم) لايكاد يذكر أسباباً أخرى إلا نادراً [١]، كماتتفق هذه المصادر على أن التوبة والتزام شرع الله والإيمان به من أسباب رفع هذه العقوبات .

فمن نماذج ذلك في (العهد القديم) ماجاء في سفر العدد أن موسى وهارون عليهما السلام طلبا من بني إسرائيل: أن يدخلوا أرض كنعان فهي جيدة جداً ، وأن الرب إن سُر منهم سيدخلهم إياها بشرط أن لايتمردوا على الرب ولايخافوا من شعب هذه الأرض، وبدلاً عن الاستماع لهما قرر بنو إسرائيل: أن يرجموا موسى وهارون[٢] وحينها خاطب الرب موسى قائلاً له :

" حَتَّى مَتَى يُهِينُنِي هذَا الشَّعْبُ؟ وَحَتَّى مَتَى لاَ يُصَدِّقُونَنِي بِجَمِيعِ الآيَاتِ الَّتِي عَمِلْتُ فِي وَسَطِهِمْ . إِنِّي أَضْرِبُهُمْ بِالْوَبَإِ وَأُبِيدُهُمْ، وَأُصَيِّرُكَ شَعْبًا أَكْبَرَ وَأَعْظَمَ مِنْهُمْ"[٣].

ويذكر السفر أن موسى عليه السلام شفع لبني إسرائيل عند الله تعالى وسأله أن يصفح ويتجاوز عنهم: " اصْفَحْ عَنْ ذَنْبِ هذَا الشَّعْبِ كَعَظَمَةِ نِعْمَتِكَ، وَكَمَا غَفَرْتَ لِهذَا الشَّعْبِ مِنْ مِصْرَ إِلَى هُنَا. فَقَالَ الرَّبُّ: قَدْ صَفَحْتُ حَسَبَ قَوْلِكَ "[٤] لكن الله حرم على بني إسرائيل دخول أرض الكنعانيين أربعين سنة جزاء فعلهم[٥] وخلال هذه المدة مات أولئك الرجال الذين عابوا هذه الأرض واحتقروها:" فَمَاتَ الرِّجَالُ الَّذِينَ أَشَاعُوا الْمَذَمَّةَ الرَّدِيئَةَ عَلَى الأَرْضِ بِالْوَبَإِ أَمَامَ الرَّبِّ"[٦].

وجاء في سفر العدد أيضاً أن بنو إسرائيل تذمروا على الله وارادوا أن يفتكوا بخدام الرب موسى وهارون عليهما السلام[٧] فكانت إرادة الله أن يصيبهم وباء عظيم:

" فَكَلَّمَ الرَّبُّ مُوسَى قَائِلاً: اطْلَعَا مِنْ وَسَطِ هذِهِ الْجَمَاعَةِ، فَإِنِّي أُفْنِيهِمْ بِلَحْظَةٍ"[٨].

---

(١) انظر: دائرة المعارف الكتابية: (٨/ ١٨٧).

(٢) انظر: العدد ١٤: ١٠.

(٣) العدد ١٤: ١١-١٢ .

(٤) العدد ١٤: ١٩-٢٠ .

(٥) انظر: العدد ١٤: ٣٤ . وقد ورد في القرآن الكريم ذكر تحريم الله تعالى على بني إسرائيل دخول الأرض المقدسة لما أعرضوا عن أمر الله لهم بدخولها بسبب القوم الجبارين وعصوا أمر رسولهم وأغلظوا له في القول، قال تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّا لَن نَّدۡخُلَهَآ أَبَدٗا مَّا دَامُواْ فِيهَاۖ فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ ٢٤ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ إِلَّا نَفۡسِي وَأَخِيۖ فَٱفۡرُقۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٥ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيۡهِمۡ أَرۡبَعِينَ سَنَةٗۚ يَتِيهُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۗ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ المائدة: ٢٤ – ٢٦.

(٦) العدد ١٤: ٣٧ .

(٧) العدد ١٦: ٣.

(٨) العدد ١٦: ٤٥.

ولما ابتدأ الوباء سعى موسى وهارون عليهما السلام ليشفعا عند الله فخرا على وجهيهما:" ثُمَّ قَالَ مُوسَى لِهَارُونَ: خُذِ الْمِجْمَرَةَ وَاجْعَلْ فِيهَا نَارًا مِنْ عَلَى الْمَذْبَحِ، وَضَعْ بَخُورًا، وَاذْهَبْ بِهَا مُسْرِعًا إِلَى الْجَمَاعَةِ وَكَفِّرْ عَنْهُمْ، لأَنَّ السَّخَطَ قَدْ خَرَجَ مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ. قَدِ ابْتَدَأَ الْوَبَأُ "[1] .

وفعل هارون ماطلب منه موسى فكان أن توقف الوباء : " فَأَخَذَ هَارُونُ كَمَا قَالَ مُوسَى، وَرَكَضَ إِلَى وَسَطِ الْجَمَاعَةِ، وَإِذَا الْوَبَأُ قَدِ ابْتَدَأَ فِي الشَّعْبِ، فَوَضَعَ الْبَخُورَ وَكَفَّرَ عَنِ الشَّعْبِ. وَوَقَفَ بَيْنَ الْمَوْتَى وَالأَحْيَاءِ فَامْتَنَعَ الْوَبَأُ "[2]. وكان عدد الذين ماتوا بالوباء أربعة عشر ألفاً وسبع مئة كمايذكر السفر[3].

والشاهد من هذه القصة أن العصيان والتذمر من أوامر الله وشرعه سبب لنزول الغضب الإلهي وحلول بعض العقوبات ببني الإنسان عموماً ومنها هذه الأوبئة ، وكذلك فإن إعلان التوبة وإظهار الندم والرجوع إلى الله تعالى من أعظم أسباب رفع العقوبات والابتلاءات على اختلاف أشكالها وصورها .

وأما في العهد الجديد فنجد شاهداً في أن الرجوع إلى الله والإيمان به من أسباب الخلاص من هذه الأوبئة والأمراض المعدية ، ففي إنجيل لوقا أن المسيح عليه السلام حين مر بوسط السامرة استقبله عشرة رجال (بُرص) وسألوه أن يدعوا لهم:" وَرَفَعُوا صَوْتًا قَائِلِينَ:«يَا يَسُوعُ، يَا مُعَلِّمُ، ارْحَمْنَا!». فَنَظَرَ وَقَالَ لَهُمُ:«اذْهَبُوا وَأَرُوا أَنْفُسَكُمْ لِلْكَهَنَةِ». وَفِيمَا هُمْ مُنْطَلِقُونَ طَهَرُوا. فَوَاحِدٌ مِنْهُمْ لَمَّا رَأَى أَنَّهُ شُفِيَ، رَجَعَ يُمَجِّدُ اللهَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ، وَخَرَّ عَلَى وَجْهِهِ عِنْدَ رِجْلَيْهِ شَاكِرًا لَهُ، وَكَانَ سَامِرِيًّا. فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ:«أَلَيْسَ الْعَشَرَةُ قَدْ طَهَرُوا؟ فَأَيْنَ التِّسْعَةُ؟ أَلَمْ يُوجَدْ مَنْ يَرْجِعُ لِيُعْطِيَ مَجْدًا لِلهِ غَيْرُ هذَا الْغَرِيبِ الْجِنْسِ؟» ثُمَّ قَالَ لَهُ:«قُمْ وَامْضِ، إِيمَانُكَ خَلَّصَكَ»"[4]. فقوله "إيمانك خلصك" أي أن رجوعك إلى الله وشكرك له الذي ينم عن إيمانك كان سبباً في كشف البلاء عنك.

أما في المصادر الإسلامية فلاشك أن مخالفة أوامر الله تعالى من أسباب العقوبات الدنيوية والأخروية،

ففي القرآن الكريم نجد أن الله تعالى يقرر ذلك بقوله:﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ

(١) العدد ١٦: ٤٦ .
(٢) العدد ١٦: ٤٧–٤٨ .
(٣) انظر: العدد ١٦: ٤٩ .
(٤) إنجيل لوقا : ١٧ : ١٣–١٩ .

وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾النحل:١١٢. ويبين تعالى في موضع آخر أن هذه العقوبات تنبيه للناس في مراجعة أنفسهم تجاه مابدر منهم من مخالفة أمر الله: ﴿ ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾الروم:٤١، وجاءت في النصوص الإسلامية صور مختلفة لأنواع العقوبات كنتيجة لما اقترفه الإنسان من خطايا ، فمنها مايكون نتيجته الإصابة بالقحط أو انتشار الظلم أو تسلط الأعداء ، وكذلك الإصابة بالأمراض العامة والأوبئة فيكون في ذلك تنبيهاً للمؤمنين على سبيل العموم بمراجعة أنفسهم، والاستجابة لأوامر الله وأحكامه التي تم التفريط فيها.

جاء في الحديث الصحيح عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: أقبل علينا رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فقال: ((يا معشر المهاجرين، خمس إذا ابتليتم بهن، وأعوذ بالله أن تدركوهن: لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها، إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا. ولم ينقصوا المكيال والميزان، إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السلطان عليهم.

ولم يمنعوا زكاة أموالهم، إلا منعوا القطر من السماء، ولولا البهائم لم يمطروا. ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله، إلا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم، فأخذوا بعض ما في أيديهم. وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله، إلا جعل الله بأسهم بينهم))[1].

ومماينبغي التنبه له أن المصادر الإسلامية وإن ذكرت أن هذه العقوبات تصيب العموم فإنها تشير أيضاً إلى أن المؤمن المستقيم قد يصاب بهذه الأمور تبعاً لغيره ، لكنها تكون في حقه رحمة ومنفعة في الآخرة من جهة الأجر والمثوبة التي يحصل عليها كماتقدم الحديث عنه[2]، وتكون من جنس الابتلاءات التي تعرض لجميع الناس ويتميز بها المؤمن عن غيره .

المبحث الثاني: الدعاء .

التوجه للخالق جل وعلا بالدعاء لأجل رفع البلاء وكشفه من الأمور التي تواتر عند أهل الأديان جميعاً بيان أثرها واستجابة الله تعالى لها إذا شاء .

ففي العهد القديم أن سليمان عليه السلام لما أكمل –بناء بيت الرب– أخبره الرب: أنه قد يسلط على بني إسرائيل أنواعاً من الابتلاءات ومنها الأوبئة ليعودوا إليه تعالى من خلال الصلوات والأدعية التي جعلها الله سبباً لتكفير الخطايا ورفع العقوبات.

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه (١٥٠/٥) وقال الأرناؤوط في تحقيقه: حسن لغيره، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٢٠/١) .

(٢) انظر: المبحث الثاني: الرحمة بالمؤمنين ضمن الفصل الثاني: أسباب الأوبئة .

جاء في سفر أخبار الأيام الثاني: " وَتَرَاءَى الرَّبُّ لسُلَيْمَانَ لَيْلاً وَقَالَ لَـهُ: "قَـدْ سَـمِعْتُ صَلاَتَكَ، وَاخْتَرْتُ هذَا الْمَكَانَ لِي بَيْتَ ذَبِيحَةٍ. إِنْ أَغْلَقْتُ السَّمَاءَ وَلَـمْ يَكُـنْ مَطَـرٌ، وَإِنْ أَمَرْتُ الْجَرَادَ أَنْ يَأْكُلَ الأَرْضَ، وَإِنْ أَرْسَلْتُ وَبَأً عَلَى شَعْبِي، فَإِذَا تَوَاضَعَ شَـعْبِي الَّـذِينَ دُعِيَ اسْمِي عَلَيْهِمْ وَصَلَّوْا وَطَلَبُوا وَجْهِي، وَرَجَعُوا عَنْ طُرُقِهِمِ الرَّدِيةِ فَإِنَّنِي أَسْـمَعُ مِـنَ السَّمَاءِ وَأَغْفِرُ خَطِيَّتَهُمْ وَأُبْرِئُ أَرْضَهُمْ"[١].

ويذكر سفر العدد أن الله غضب على مريم –أخت موسى– وأنها أصيبت بمرض معـدي هو البرص، فشفع لها موسى عليه السلام بالدعاء: " فَصَرَخَ مُوسَى إِلَـى الـرَّبِّ قَـائِلاً: «اللّهُمَّ اشْفِهَا»"[٢].

وجاء في العهد الجديد في وصية بولس إلى تيموثاوس بيان أهمية الصلاة والدعاء لقضاء الحياة الهادئة المطمئنة لأن هذا هو سبيل الخلاص عند الله: "فَأَطْلُبُ أَوَّلَ كُلِّ شَـيْءٍ، أَنْ تُقَامَ طَلِبَاتٌ وَصَلَوَاتٌ وَابْتِهَالاَتٌ وَتَشَكُّرَاتٌ لأَجْلِ جَمِيعِ النَّاسِ، لأَجْلِ الْمُلُوكِ وَجَمِيعِ الَّذِينَ هُمْ فِي مَنْصِبٍ، لِكَيْ نَقْضِيَ حَيَاةً مُطْمَئِنَّةً هَادِئَةً فِي كُلِّ تَقْوَى وَوَقَـارٍ، لأَنَّ هـذَا حَـسَنٌ وَمَقْبُولٌ لَدَى مُخَلِّصِنَا اللهِ، الَّذِي يُرِيدُ أَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ يَخْلُـصُونَ، وَإِلَـى مَعْرِفَـةِ الْحَـقِّ يُقْبِلُونَ. لأَنَّهُ يُوجَدُ إِلهٌ وَاحِدٌ وَوَسِيطٌ وَاحِدٌ بَيْنَ اللهِ وَالنَّاسِ: الإِنْسَانُ يَسُوعُ الْمَسِيحُ "[٣].

وجاء أيضاً في رسالة يعقوب مايدل على أهمية الصلاة والدعاء والتوبة إلى الله في شفاء المريض: "أَمَرِيضٌ أَحَدٌ بَيْنَكُمْ؟ فَلْيَدْعُ شُيُوخَ الْكَنِيسَةِ فَيُصَلُّوا عَلَيْهِ وَيَدْهَنُوهُ بِزَيْـتٍ بِاسْـمِ الرَّبِّ، وَصَلاَةُ الإِيمَانِ تَشْفِي الْمَرِيضَ، وَالرَّبُّ يُقِيمُهُ، وَإِنْ كَانَ قَدْ فَعَلَ خَطِيَّةً تُغْفَـرُ لَـهُ. اعْتَرِفُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ بِالزَّلاَتِ، وَصَلُّوا بَعْضُكُمْ لأَجْلِ بَعْضٍ، لِكَيْ تُشْفَوْا.."[٤].

أما في المصادر الإسلامية فإن الدعاء والتضرع إلى الله عزوجل من أعظـم الأسـباب التي شرعها تعالى لكشف البلاء بأنواعه ومن ذلك الأمراض والأوبئة ، وقد تواترت فـي ذلك النصوص من الكتاب والسنة في تقرير هذا الأمـر واستفاضـت بحيـث يـصعب حصرها .

ففي القرآن يبين الله تعالى أنه قريب من عباده ، وأن عليهم أن يقـصدوه بـدعائهم فهـو الذي يستجيب لعباده المؤمنين: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ البقرة:١٨٦ ، وفي موضع آخـر يبـين

(١) أخبار الأيام الثاني : (٧/١٢-١٤) .
(٢) العدد : ١٢: ١٣ .
(٣) رسالة تيموثاوس الأولى: (١-٥) .
(٤) رسالة يعقوب: (٥ /١٤-١٦).

سبحانه أنه وحده القادر على كشف السوء: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ ﴾النمل:٦٢، وفي مواضع أخرى يبين الله تعالى كيف كشف سبحانه الكرب عن أنبيائه ورسله وعباده الصالحين لما دعوه مخلصين له الدين فقال عن نوح عليه السلام: ﴿ وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ الأنبياء:٧٦، وقال عن يونس عليه السلام: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـْۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ الأنبياء:٨٨، وقال عن زكريا عليه السلام: ﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَوَهَبْنَا لَهُۥ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُۥ زَوْجَهُۥٓ ﴾ الأنبياء:٨٩-٩٠، فهذه الآيات تدل على أن الأنبياء عليهم السلام -وهم أفضل الخلق- تعرضوا للبلاء فاستجاب الله تعالى لهم، فإصابة الإنسان بالابتلاءات ليس دليلًا على أنه غير صالح ، أما فيما يخص الابتلاء بالمرض فتأتي قصة نبي الله أيوب عليه السلام حين ابتلي بالمرض وابتعد الناس عنه فكان أن دعا الله منيباً إليه فاستجاب الله لدعائه ، وكشف عنه المرض وأفاض عليه من نعمه: ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴾ الأنبياء:٨٣-٨٤.

أما في السنة النبوية فقد وردت أحاديث كثيرة تتضمن دعوات توجه بها النبي صلى الله عليه وسلم إلى الله عزوجل لكشف المرض وشفاء المريض، ومن ذلك :

- ماكان يدعو به النبي صلى الله عليه وسلم لنفسه إذا اشتكي وجعاً كما في حديث عائشة رضي الله عنها قالت:" كان إذا اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم رقاه جبريل، قال: «باسم الله يبريك، ومن كل داء يشفيك، ومن شر حاسد إذا حسد، وشر كل ذي عين"[(١)] ، وكذلك ماورد عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم :"كان ينفث على نفسه في مرضه الذي قبض فيه بالمعوذات، فلما ثقل كنت أنا أنفث عليه بهن فأمسح بيد نفسه لبركتها"[(٢)].

- وكان صلى الله عليه وسلم يمسح بيده اليمنى على المريض ويدعو له فيقول: " أذهب الباس رب الناس، واشف أنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقماً "[(٣)]، وزار النبي صلى الله عليه وسلم سعد بن أبي وقاص في مرضه ودعا له كما يقول سعد

(١) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم (٢١٨٥) (١٧١٨/٤) .
(٢) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم (٥٧٥١) (١٣٤/٧) .
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم (٥٧٥٠) (١٣٤/٧) .

رضي الله عنه: "..ثم مسح يده على وجهي وبطني، ثم قال: اللهم اشف سعداً وأتمم له هجرته .."[١].

– وعلَّم النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه صيغ الدعاء التي تكون سبباً في شفاء المرضى، وأنّه ينبغي على من زار مريضًا أن يدعو له، فقال: "من أَتى مريضاً لم يحضر أجلُه فقال سبع مراتٍ: أسأل الله العظيم ربَّ العرش الكريم أن يشفيه، إلّا عُوفي"[٢].

لكن ماينبغي معرفته أن الإسلام وإن كان يجعل الدعاء سبباً لرفع الأوبئة وشفاء المرض إلا أن هذا السبب قد تتحقق نتائجه وقد لاتحقق، وذلك مرتبط بمشيئة الله وإرادته كمثل الأسباب الحسية التي يفعلها المريض من أخذ الاحترازات من الأوبئة وتناول الأدوية بعد الإصابة بها وغير ذلك من الأسباب المادية ، فقد تنفع في الوقاية أو شفاء المريض من الأوبئة وقد لاتجدي أحياناً فيصاب بعض الأفراد بالأمراض وقد يهلك بعد ذلك ، لكن الله عزوجل يعوض المؤمن بغير ما طلبه لحكمة ومصلحة يراها سبحانه فليست الاستجابة للدعاء هي بتحقيق مطلوب الداعي دوماً[٣]. وقد جاء في الحديث:" ما من مسلم يدعو بدعوة ليس فيها إثم، ولا قطيعة رحم، إلا أعطاه الله بها إحدى ثلاث:
إما أن تعجل له دعوته، وإما أن يدخرها له في الآخرة، وإما أن يصرف عنه من السوء مثلها، قالوا: إذا نكثر، فقال صلى الله عليه وسلم: الله أكثر"[٤].

المبحث الثالث : تقديم القرابين والصدقات .

تقديم القرابين والصدقات أحد أسباب رفع العقوبات والأوبئة التي اتفقت عليها مصادر الديانات الكتابية ، ففي العهد القديم جاءت الإشارة إلى عدد من الحوادث التي أصاب فيها الوباء الناس كعقوبات لهم على مخالفة أوامر الرب تبارك وتعالى فكان أن قاموا بتقديم القرابين والخضوع للخالق جل وعلا مما رفع عنهم غضب الرب وزالت معه عقوبات وقعت عليهم ومنها الأوبئة .

يذكر سفر صموئيل الأول أن الفلسطينيين أخذوا تابوت الرب من بني إسرائيل ، وأن الله تعالى نتيجة لذلك ضربهم بالمرض. فماكان منهم إلا أن اضطربوا وخافوا من الموت فصرخوا إلى السّماء[٥] ودَعَا الْفِلِسْطِينِيُّونَ الْكَهَنَةَ وَالْعَرَّافِينَ قَائِلِينَ: «مَاذَا نَعْمَلُ بِتَابُوتِ

(١) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم (٥٦٥٩) (١١٨/٧) .
(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٧/٣) وقال محققه: إسناده صحيح .
(٣) انظر: الأذكار للنووي ص٤٠١ ، وفتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر: (٩٥/١١) .
(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢١٤/١٧) وقال محققه: إسناده جيد. وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد ص٢٦٤.
(٥) انظر: صموئيل الأول ٥: ١ ومابعده .

الرَّبِّ؟ أَخْبِرُونَا بِمَاذَا نُرْسِلُهُ إِلَى مَكَانِه». فَقَالُوا: «إِذَا أَرْسَلْتُمْ تَابُوتَ إِلَـهِ إِسْرَائِيلَ، فَلاَ تُرْسِلُوهُ فَارِغًا، بَلْ رُدُّوا لَهُ قُرْبَانَ إِثْمٍ. حِينَئِذٍ تَشْفَوْنَ وَيُعْلَمُ عِنْدَكُمْ لِمَاذَا لاَ تَرْتَفِعُ يَدُهُ عَنْكُمْ»[١] وكان قربان الإثم عبارة عن تماثيل من ذهب قدموها مع التابوت حين إعادته دليلاً على خضوعهم وتوبتهم للرب[٢].

وجاء في سفر صموئيل الثاني أن الله تعالى غضب على داود بعد أن انتهى من إحصاء عدد الشعب من بني إسرائيل ويهوذا [٣]وأن الوباء بعدها وقع في أرض إسرائيل: " فَجَعَلَ الرَّبُّ وَبَأً فِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الصَّبَاحِ إِلَى الْمِيعَادِ، فَمَاتَ مِنَ الشَّعْبِ مِنْ دَانٍ إِلَى بِئْرِ سَبْعٍ سَبْعُونَ أَلْفَ رَجُل "[٤]. ويذكر السفر أن الوباء لم يتوقف حتى بنى داود عليه السلام مذبحاً للرب وقدم فيه القرابين :

" وَبَنَى دَاوُدُ هُنَاكَ مَذْبَحًا لِلرَّبِّ وَأَصْعَدَ مُحْرَقَاتٍ وَذَبَائِحَ سَلاَمَةٍ، وَاسْتَجَابَ الرَّبُّ مِنْ أَجْلِ الأَرْضِ، فَكَفَّتِ الضَّرْبَةُ عَنْ إِسْرَائِيلَ"[٥].

أما في العهد الجديد فقد جاءت الإشارة إلى القرابين وأثرها في دفع الأمراض ، ففي إنجيل متى تأتي قصة الرجل الذي طلب من المسيح عليه السلام أن يطهره من البرص فمسح عليه وبرأ الرجل وطلب منه المسيح عليه السلام أن يقدم القرابين:" وَلَمَّا نَزَلَ مِنَ الْجَبَلِ تَبِعَتْهُ جُمُوعٌ كَثِيرَةٌ. وَإِذَا أَبْرَصُ قَدْ جَاءَ وَسَجَدَ لَهُ قَائِلاً: «يَا سَيِّدُ، إِنْ أَرَدْتَ تَقْدِرْ أَنْ تُطَهِّرَنِي». فَمَدَّ يَسُوعُ يَدَهُ وَلَمَسَهُ قَائِلاً: «أُرِيدُ، فَاطْهُرْ!». وَلِلْوَقْتِ طَهُرَ بَرَصُهُ. فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «انْظُرْ أَنْ لاَ تَقُولَ لأَحَدٍ. بَلِ اذْهَبْ أَرِ نَفْسَكَ لِلْكَاهِنِ، وَقَدِّمِ الْقُرْبَانَ الَّذِي أَمَرَ بِهِ مُوسَى شَهَادَةً لَهُمْ»[٦].

وأما في مصادر الإسلام فيأتي تقديم الصدقات ، وهي نوع من القربان إلى الله تعالى بالمال ، ينفقها المؤمن لنفع الآخرين يبتغي بذلك الأجر والمثوبة من الله تعالى ، ولهذه الصدقة أثر عظيم في دفع البلاء ورفعه ، ومن ذلك مايصيب الناس من الكوارث العامة والأمراض والأوبئة ونحوها .

جاء في السنة أن الناس فزعوا في عهد النبي صلى الله عليه وسلم حين كسفت الشمس فقال صلى الله عليه وسلم: ((إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا يخسفان لموت

(١) صموئيل الأول ٦ : ٢-٣ .
(٢) انظر: صموئيل الأول ٦ : ٤ ومابعده .
(٣) تقدم الحديث عن قصة الإحصاء في المبحث الأول من الفصل الثاني.
(٤) صموئيل الثاني ٢٤: ١٥ .
(٥) صموئيل الثاني ٢٤: ٢٥ .
(٦) إنجيل متى ٨ : ١-٤ .

أحد ولا لحياته)) ثم قال مرشداً للناس: ((فـإذا رأيـتم ذلـك فـادعوا الله، وكبـروا، وتصدقوا)) [١]. قال ابن دقيق العيد رحمه الله معلقاً:

"وفي الحديث دليل على استحباب الصدقة عند المخاوف لاستدفاع البلاء المحذور"[٢].

أما مايتعلق بالحث على الصدقة عند حلول الأمراض فقد روى أبو أمامة الباهلي رضـي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " داووا مرضاكم بالصدقة"[٣] فجعـل النبي صلى الله عليه وسلم الصدقة بمثابة الدواء والسبب المباشر للشفاء بإذن الله تعالى.

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله مبيناً أثر الصدقة: " فإن للصدقة تأثيرًا عجيبًا فـي دفـع أنواع البلاء، ولو كانت من فاجر أو ظالم، بل من كافر؛ فإن الله تعالى يـدفع بهـا عنـه أنواعًا من البلاء، وهذا أمر معلوم عند الناس خاصتهم وعـامتهم، وأهـلُ الأرضِ كلُّهـم مُقِرُّون به؛ لأنهم قد جرَّبوه"[٤].

المبحث الرابع : فعل الأسباب المادية للوقاية من الأوبئة .

جاء في مصادر الديانات الكتابية وتحديداً هنا في العهـد القـديم والمـصادر الإسـلامية الإشارة إلى فعل بعض الأسباب المادية للوقاية مـن الأمـراض المعديـة، وإن كانـت المصادر الإسلامية في هذا المجال أكثر وضوحاً وشمولية وموافقة للعلم الحديث في ذلك كماسيأتي.

ففي العهد القديم ضمن سفر اللاويين[٥] تأتي بعض النـصوص حـول أهميـة النظافـة الشخصية والانعزال أحياناً في مكافحة بعض الأمـراض المعديـة ، وإن كانـت تنظـر للمرضى بأنهم نجس في بعض الأحوال، ومماجاء في ذلك ماورد ضمن وصـية الـرب لموسى وهارون: " فَإِنْ رَأَى الْكَاهِنُ الضَّرْبَةَ فِي جِلْدِ الْجَسَدِ، وَفِي الـضَّرْبَةِ شَـعْرٌ قَـدِ ابْيَضَّ، وَمَنْظَرُ الضَّرْبَةِ أَعْمَقُ مِنْ جِلْدِ جَسَدِهِ، فَهِيَ ضَرْبَةُ بَرَصٍ. فَمَتَى رَآهُ الْكَاهِنُ يَحْكُمُ بِنَجَاسَتِهِ. لكِنْ إِنْ كَانَتِ الضَّرْبَةُ لُمْعَةً بَيْضَاءَ فِي جِلْدِ جَسَدِهِ، وَلَمْ يَكُنْ مَنْظَرُهَا أَعْمَقَ مِـنَ الْجِلْدِ، وَلَمْ يَبْيَضَّ شَعْرُهَا، يَحْجُزُ الْكَاهِنُ الْمَضْرُوبَ سَبْعَةَ أَيَّامٍ. فَإِنْ رَآهُ الْكَاهِنُ فِي الْيَـوْمِ السَّابِعِ وَإِذَا فِي عَيْنِهِ الضَّرْبَةُ قَدْ وَقَفَتْ، وَلَمْ تَمْتَدَّ الضَّرْبَةُ فِي الْجِلْدِ، يَحْجُزُهُ الْكَاهِنُ سَـبْعَةَ

(١) رواه البخاري في صحيحه حديث (١٠٤٤) (٣٤/٢) .

(٢) إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ، (٣٥٣/١) .

(٣) أخرجه البيهقي في سننه (١٨٩/٧) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٣٥٨) وصحيح الترغيب والترهيب (٧٤٤).

(٤) الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب، ابن قيم الجوزية، ص٦٩ .

(٥) انظر : الاصحاحات ١٣-١٥ .

أَيَّامٍ ثَانِيَةً. فَإِنْ رَآهُ الْكَاهِنُ فِي الْيَوْمِ السَّابِعِ ثَانِيَةً وَإِذَا الضَّرْبَةُ كَامِدَةُ اللَّوْنِ، وَلَمْ تَمْتَدَّ الضَّرْبَةُ فِي الْجِلْدِ، يَحْكُمُ الْكَاهِنُ بِطَهَارَتِهِ. إِنَّهَا حِزَازٌ[1]. فَيَغْسِلُ ثِيَابَهُ وَيَكُونُ طَاهِرًا"[2].

وجاء في عزل مريض البرص:"إِنَّهُ نَجِسٌ. يُقِيمُ وَحْدَهُ. خَارِجَ الْمَحَلَّةِ يَكُونُ مُقَامُهُ"[3] ، ويذكر سفر اللاويين أيضاً أن الرب أمر الكهنة بفحص الملابس والأدوات الأخرى التي يمكن أن تصاب بالعدوى[4] ويأمر كذلك المريض بعد شفائه أن يغسل ثيابه وجسده حتى يطهر[5].

أما بالنسبة للعهد الجديد فقد جاءت الإشارات فيه متوافرة إلى أن المسيح عليه السلام كان يشفي الناس من الأمراض بل وحتى بعض رسله ، وأنه بسبب ذلك ذاع صيته: "وَكَانَ يَسُوعُ يَطُوفُ الْمُدُنَ كُلَّهَا وَالْقُرَى يُعَلِّمُ فِي مَجَامِعِهَا، وَيَكْرِزُ بِبِشَارَةِ الْمَلَكُوتِ، وَيَشْفِي كُلَّ مَرَضٍ وَكُلَّ ضُعْفٍ فِي الشَّعْبِ"[6]. " ثُمَّ دَعَا تَلاَمِيذَهُ الاثْنَيْ عَشَرَ وَأَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا عَلَى أَرْوَاحٍ نَجِسَةٍ حَتَّى يُخْرِجُوهَا، وَيَشْفُوا كُلَّ مَرَضٍ وَكُلَّ ضُعْفٍ"[7] لكن ليس هناك نصوص واضحة المعالم في التعامل المادي مع الأمراض وسبل الوقاية منها.

أما بالنسبة للمصادر الإسلامية فنجد هناك منهجاً شاملاً ومتميزاً فيما يتعلق بأسباب الوقاية المادية للفرد والمجتمع من الأمراض والأوبئة ، ويتضح ذلك من خلال مايلي :

١. الحث على الاعتناء بالنظافة الشخصية، والتي تعد من أهم سبل الوقاية المادية من الأوبئة والأمراض عموماً. فقد اهتم الإسلام بالنظافة الفردية لكل مسلم، وبالنظافة العامة للمجتمع والبيئة، ودعا المسلمين إلى الالتزام بالطهارة، وإزالة الأقذار، والعناية بذلك، حيث جاء كلٌ من القرآن الكريم والسنة النبوية يزخران بالأدلة الصريحة والواضحة التي تدعو إلى الطهارة، كماقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ﴾ البقرة:٢٢٢ . وقال صلى الله عليه وسلم: ((الطُّهُورُ شَطْرُ الإيمانِ))[8]. فالطهارة سلوك يتميّز به المسلم، ومظهر من مظاهر الدين الإسلامي،

(١) أي قشرة عادية وليست برصاً. انظر: لسان العرب(٥/٣٣٥)

(٢) سفر اللاويين ١٣: ٣-٦ .

(٣) المرجع السابق ١٣: ٤٦ .

(٤) انظر: المرجع السابق ١٣: ٤٧-٥٩ .

(٥) انظر: المرجع السابق ١٥: ١٣ .

(٦) إنجيل متى ٩ :٣٥ .

(٧) إنجيل متى (١٠: ١) أما شفاء المسيح عليه السلام لبعض الأمراض-بإذن الله ومشيئته- فهذا أمر ذكره الله في القرآن في معرض الامتنان على المسيح عليه السلام: ﴿ وَإِذۡ تَخۡلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ بِإِذۡنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِيۖ وَتُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ بِإِذۡنِيۖ وَإِذۡ تُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِي ﴾ المائدة: ١١٠. وأما شفاء الحواريين للمرضى فإن كان المقصود به عن طريق دعاء الله لهم والرقية عليهم باسم الله فهو مقبول شرعاً، أما شفاء المرضى باستقلال تام عن إرادة الله فهو أمر لايملكه أي مخلوق سواء كان نبياً ورسولاً أو دون ذلك ونسبته لهم يعتبر تألّيهاً لايجوز، وقد أخبر تعالى بتبرأ المسيح عليه السلام من كل تألّيه ينسب إليه يوم القيامة: ﴿ وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ ﴾ المائدة: ١١٦.

(٨) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم (٢٠٣) (١/٢٢٣) .

ولم يقتصر الإسلام على الدعوة إلى الطهارة والحثّ عليها، بل تعدّى في ذلك بأن جعل لها أحكاماً شرعية خاصة، ووضح كيفيتها وجوانبها، وجعلها عبادة يتقرب بها المسلم إلى الله، وشرطاً لصحة بعض العبادات، ورتّب عليها عظيم الأجر والثواب.

فمن جوانب حرص الإسلام على النظافة الشخصية ما أولاه من اهتمام بنظافة البدن، حيث حثّ النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك بشكل عام في قوله: ((فإنّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا))[1] ومما يتضمنه هذا الحق المحافظة عليه نظيفاً وبصحة جيدة، والحرص على سلامته من الأمراض، والمبادرة إلى إزالة الأقذار والنجاسات إن وجدت على الجسم، وقد سنّ النبي صلى الله عليه وسلم عدة أمور، تُعنى بنظافة البدن، وتتعلق به، منها: الاغتسال: فالغُسل إما أن يكون واجباً؛ كغسل الجنابة، وعند انقطاع دم الحيض والنفاس، وإما أن يكون مستحباً؛ كغسل الجمعة، والعيدين، وغير ذلك.

ومن ذلك أيضاً: الوضوء: ويعد شرطاً لصحة الصلاة، التي تعدّ من أعظم الفرائض، ويتكرر أداؤها خمس مرات في اليوم والليلة، حيث لا تصح صلاة العبد من غير وضوء، وهو غسل أعضاء معينة من الجسم بالماء الطهور بكيفية معينة، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ۚ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ ﴾ المائدة: ٦.

ومن ذلك أيضاً: سنن الفطرة: وهي نوع من أنواع النظافة العامة، إذ إنها مجموعة من الأمور التي فطر الله تعالى الإنسان عليها وأكد عليها الإسلام، قال عليه الصلاة والسلام: "((عشر من الفطرة: قص الشارب، وإعفاء اللحية، والسواك، واستنشاق الماء، وقص الأظفار، وغسل البراجم، ونتف الإبط، وحلق العانة، وانتقاص الماء)) قال زكريا: قال مصعب: ونسيت العاشرة إلا أن تكون المضمضة. وزاد قتيبة: قال وكيع:"انتقاص الماء: يعني الاستنجاء"[2].

كذلك اعتنى الإسلام: بنظافة الملبس والثياب، فقال تعالى: ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ ﴾ المدثر:٤. فطهارة الثياب شرط لصحة أداء بعض العبادات، وهي وقاية لجسد المرء من الأمراض.

كذلك اهتم الإسلام بنظافة المأكل والمشرب وآنيتها منعاً لانتقال الأوبئة والأمراض إليها. ففي الحديث يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "غطوا الإناء، وأوكوا السقاء، فإن في السنة ليلة ينزل فيها وباء، لا يمر بإناء ليس عليه غطاء، أو سقاء ليس عليه وكاء، إلا

(١) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم (١٩٧٥) (٣٩/٣) .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم (٢٦١) (٢٢٣/١) .

نزل فيه من ذلك الوباء"[١]. وقال صلى الله عليه وسلم « إذا ولغ الكلب في الإناء فاغسلوه سبع مرات، وعفروه الثامنة في التراب»[٢]إلى غير ذلك من النصوص التي تحث على النظافة والطهارة في البدن والملبس والمأكل .

٢. النهي عن مخالطة أصحاب الأمراض المعدية على مستوى الأفراد أو المجتمعات: ففي المصادر الإسلامية نلحظ التأكيد على عدم مخالطة المريض مرضاً معدياً ، وكذلك عند انتشار الأوبئة في بلد ما فقد جاءت النصوص بالنهي عن الدخول لهذا البلد أوالخروج عنه ، وقاية للمجتمع من انتشاره، وهو ما اصطلح على تسميته في العصور المتأخرة باسم "الحجر الصحي".

يقول النبي صلى الله عليه وسلم ناهياً عن مخالطة المريض بمرض معدي: «لا يُورِدَنّ مُمْرِض على مُصِحّ»[٣] وفي الحديث الآخر: لما قدم وفد ثقيف لمبايعة النبي صلى الله عليه وسلم وكان فيهم رجلٌ مجذومٌ، أرسل إليه النبي صلي الله عليه وسلم"إنا قد بايعناك فارجع"[٤] ، وأما عند انتشار الأوبئة ومنها الطاعون في البلاد فقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن القدوم إليها أوالخروج منها فقال: « الطاعون رجس أُرسل على طائفة من بني إسرائيل أو على من كان قبلكم ، فإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه ، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه »[٥].

ومن كمال الشرع الإسلامي أنه راعى مشاعر المريض بهذه الأوبئة وسعى في تطييب مشاعره وتعزيته في هذا الحجر والظروف المحيطة به، فبين له أن هذه الأوبئة من الابتلاءات التي تصيب الإنسان فمن يرض بها احتساباً لأجر الصبر على أقدار الله، ويعمل أثناء وقوعها بما شرعه الرسول صلى الله عليه وسلم من عدم مخالطة الأصحاء فله أجر عظيم، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((ليس من أحد يقع الطاعون، فيمكث في بلده صابراً محتسباً يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له إلا كان له مثل أجر شهيد))[٦] وفي رواية :((فيمكث في بيته صابراً))[٧]، قال الحافظ ابن حجر في الفتح: "اقتضى منطوقه أن من اتصف بالصفات المذكورة يحصل له أجر الشهيد، وإن لم

(١) تقدم تخريجه .
(٢) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم (٢٨٠) (٢٣٥/١) .
(٣) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم (٥٧٧١) (١٣٨/٧) .
(٤) أخرجه مسلم في صحيحه حديث رقم (٢٢٣١) (١٧٥٢/٤) .
(٥) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم (٣٤٧٣) (١٧٥/٤) .
(٦) أخرجه البخاري في صحيحه حديث رقم (٣٤٧٤) (١٧٥/٤) .
(٧) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٢٣٥/٤٣) وقال محققه: إسناده صحيح على شرط البخاري.

يمت"[1]اهـ. وبمعنى آخر فمن لزم بيته وقت نزول الوباء يحصل له أجر الشهيد وإن لم يمت.

٢. الحث على التداوي وبذل أسباب الاستشفاء. فقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بذلك كما جاء في حديث أسامة بن شريك رضي الله عنه قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم، وأصحابه عنده كأنما على رءوسهم الطير، قال: فسلمت عليه، وقعدت، قال: فجاءت الأعراب، فسألوه فقالوا: يا رسول الله، نتداوى؟ قال: "نعم، تداووا، فإن الله لم يضع داء إلا وضع له دواء غير داء واحد: الهرم.."[2]، وقد عاد رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً به جرح، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ادعوا له طبيب بني فلان "، قال: فدعوه فجاء، فقالوا: يا رسول الله، ويغني الدواء شيئاً ؟ فقال: " سبحان الله، وهل أنزل الله من داء في الأرض، إلا جعل له شفاء "[3].

وبذل هذه الأسباب وغيرها في الإسلام لايتعارض مع وجوب التوكل على الخالق سبحانه، لأن الله تعالى هو من خلق هذه الأسباب وأمر عبادة المؤمنين بمباشرتها ، يقول الإمام ابن القيم :"بل لا تتم حقيقة التوحيد إلا بمباشرة الأسباب التي نصبها الله مقتضيات لمسبباتها قدرًا وشرعًا، وأن تعطيلها يقدح في نفس التوكل، كما يقدح في الأمر والحكمة ويضعفه من حيث يظن معطلها أن تركها أقوى في التوكل، فإنَّ تركها عجز ينافي التوكل الذي حقيقته اعتماد القلب على الله في حصول ما ينفع العبد في دينه ودنياه، ودفع ما يضره في دينه ودنياه، ولا بد مع هذا الاعتماد من مباشرة الأسباب، وإلا كان معطلًا للحكمة والشرع، فلا يجعل العبد عجزه توكلًا ولا توكله عجزًا"[4].

(١) فتح الباري: (١٠/١٩٤).

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣٠/٣٩٤-٣٩٥) وقال محققه: إسناده صحيح، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/١٣١٣) .

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣٨/٢٢٧) وقال محققه: إسناده صحيح ، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٥/٨٤) رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح .

(٤) زاد المعاد في هدي خير العباد (٤/ ١٤).

الخاتمة وأهم النتائج والتوصيات :

في خاتمة هذا البحث أحمد الله تعالى حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه على مايسر من إتمامه، وقد تبين من خلال البحث عدد من النتائج التي أشير إليها في النقاط التالية:

- الأوبئة جمع وباء، وهو مرض يعم الكثير من الناس في جهة من الجهات دون غيرها، بخلاف المعتاد من أحوال الناس وأمراضهم، وقد شهد تاريخ البشرية ومازال عدداً كبيراً من الأوبئة والجوائح.
- ورد مصطلح الوباء ومافي معناه ضمن مصادر الديانات الكتابية، ففي المصادر الإسلامية ورد لفظ الوباء صريحاً في السنة في مواضع قليلة وفي معناه القريب لفظ الطاعون الأكثر وروداً، والطاعون على الصحيح نوع خاص من الأوبئة فكل طاعون وباء وليس كل وباء طاعون. أما في المصادر اليهودية فورد لفظ الوباء كثيراً في العهد القديم حتى بلغت (٤٩) مرة، وغالب وروده على هيئة عذاب وعقاب لبني إسرائيل أو أعدائهم. أما في المصادر النصرانية فورد لفظ الوباء قليلاً في العهد الجديد وجاءت الإشارة للوباء ضمن حديث المسيح –عليه السلام– عما سيحدث على الأرض قبيل مجيئه إليها ثانية، وكذلك في تحذير بولس الناس من الوقوع في الآثام وعبادة الأوثان.
- تعددت أسباب الأوبئة وما في معناها في مصادر الديانات الكتابية، ومن أشهر هذه الأسباب:

أولاً: العقاب الإلهي لمن خالف أمر الله تعالى ممن كذّب بالله تعالى وآياته وكتبه، أو ممن آمن به لكن خالف أمره في بعض المواضع مع اختلاف الحال بين الفريقين. الثاني: الرحمة والابتلاء من الله تعالى. إذ يلفت تعالى الناس في هذه المصادر إلى أهمية الرجوع إليه وترك مخالفة أمره من خلال الابتلاء بأنواعه المختلفة ومنها الأوبئة حتى إذا ماعادوا إليه كان ذلك رحمة بهم إما في الدنيا برفع الوباء عنهم أو في الآخرة بتكفير خطاياهم. الثالث من الأسباب: كون هذه الأوبئة علامات ومقدمات لليوم الآخر الذين تؤمن به كل الديانات الكتابية مع اختلاف المصادر بينها في تفاصيله بسبب ماطرأ على مصادر أهل الكتاب من التغيير.

- في منهج التعامل مع الأوبئة: تتفق المصادر الكتابية على أن العقوبات الإلهية هي أحد أسباب الأوبئة، كماتتفق هذه المصادر على أن التوبة والتزام شرع الله والإيمان به من أسباب رفع هذه العقوبات، ويعد التوجه للخالق جل وعلا بالدعاء لأجل رفع

البلاء وكشفه من الأمور التي تواتر عند أهل الأديان جميعاً بيان أثرها واستجابة الله تعالى لها إذا شاء، كما أن تقديم القرابين والصدقات أحد أسباب رفع العقوبات والأوبئة التي اتفقت عليها مصادر الديانات الكتابية.

- وختاماً فقد جاء في مصادر الديانات الكتابية وتحديداً في العهد القديم والمصادر الإسلامية الإشارة بوضوح إلى فعل بعض الأسباب المادية للوقاية من الأمراض المعدية، وإن كانت المصادر الإسلامية في هذا المجال أكثر وضوحاً وشمولية وموافقة للعلم الحديث في منهج التعامل مع الأوبئة.

التوصية :

- أهمية البحث العلمي في مجال مقارنة الأديان في مسائل النوازل المعاصرة، وبيان تميز المنهج الإسلامي عن غيره.

فهرس المصادر والمراجع :

١. إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ابن دقيق العيد ، مطبعة السنة المحمدية .

٢. الأذكار ، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي ، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط ، نشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م .

٣. تاريخ الأوبئة الأكثر فتكاً في العالم، مقالة على موقع سكاي نيوز العربية www.skynewsarabia.com

٤. تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، محمد بن جرير الطبري، تحقيق: الدكتور عبدالله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر ، ط١ ، (د.م) ، ١٤٢٢ هـ .

٥. تهذيب الأسماء واللغات، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي ، نشر: شركة العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية بطلب من: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان .

٦. الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، ابن تيمية الحراني ، تحقيق: علي بن حسن وآخرون ، نشر: دار العاصمة، السعودية، ط٢، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.

٧. دائرة المعارف الكتابية ، د.صموئيل حبيب وآخرون ، دار الثقافة .

٩. دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، د.سعود الخلف، نشر: مكتبة أضواء السلف، الرياض، ط٤، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م .

١٠. زاد المعاد في هدي خير العباد ، ابن قيم الجوزية، نشر: مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، ط٢٧، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م .

١٢. سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، ناصر الدين الألباني، نشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤١٥ ه -١٩٩٥م.

١٣. سنن ابن ماجه ، أبوعبد الله محمد بن يزيد بن ماجة القزويني، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، نشر: دار الرسالة العالمية، ط١ ، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م .

١٤. سنن الترمذي ، محمد بن عيسى الترمذي، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر وآخرون ، نشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي-مصر، ط٢، ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م .

١٥. السنن الكبرى ، أبوعبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي ، تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط ، نشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م .

١٦. شرح البخاري للكرماني= الكوكب الدراري في شرح صحيح البخاري، شمس الدين الكرماني، نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ط٢، ١٤٠١هـ-١٩٨١م .

١٧. شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن)، شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي، تحقيق: د.عبد الحميد هنداوي، نشر: مكتبة نزار مصطفى الباز (مكة المكرمة – الرياض) ، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م .

١٨. صحيح الأدب المفرد للإمام الألباني، ناصر الدين الألباني، نشر: دار الصديق للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٨هـ-١٩٩٧م.

١٩. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق: جماعة من العلماء، الطبعة: السلطانية، بالمطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر، ١٣١١ هـ، ثم صَوّرها بعنايته: د. محمد زهير الناصر، وطبعها الطبعة الأولى عام ١٤٢٢ هـ لدى دار طوق النجاة – بيروت.

٢٠. صحيح الترغيب والترهيب ، ناصر الدين الألباني، نشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط١ ، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م .

٢٢. صحيح الجامع الصغير وزياداته، ناصر الدين الألباني، نشر: المكتب الإسلامي .

٢٤. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، القاهرة ، ١٣٧٤هـ-١٩٥٥م .

٢٥. عمدة القاري شرح صحيح البخاري، بدر الدين أبومحمد محمود بن أحمد العيني، عنيت بنشره وتصحيحه والتعليق عليه: شركة من العلماء بمساعدة إدارة الطباعة المنيرية، لصاحبها ومديرها محمد منير عبده أغا الدمشقي.

٢٦. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، حمد بن علي بن حجر العسقلاني، نشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي .

٢٨. قاموس الكتاب المقدس ، الدكتور بطرس عبدالملك وآخرون ، نشر: دار مكتبة العائلة ، ط١٤ ، بيروت-لبنان، ٢٠٠١ هـ .

٢٩. الكتاب المقدس، ترجمة ونشر: دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط، ١٩٨٩م .

٣٠. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على ابن منظور الأنصاري ، نشر: دار صادر – بيروت ط٣، ١٤١٤هـ .

٣١. ماذا يعلّم الكتاب المقدس عن الأوبئة، الضربات، والآفات العالمية؟ يوئيل روزنبرغ، آذار ٢٠٢٠ ، مقالة ضمن موقع:
ttps://www.joshuafund.com/images/blog_uploads/FACTSHEET_-_Arabic.pdf

٣٢. المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، نشر: دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١١هـ-١٩٩٠م .

٣٣. مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، نشر: مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.

٣٤. مسند البزار = البحر الزخار، أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد المعروف بالبزار، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله وآخرون ، نشر: مكتبة العلوم والحكم - المدينة المنورة، ط١، ٢٠٠٩ م.

٣٥. معجم الطبراني = المعجم الكبير للطبراني، تحقيق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، نشر: مكتبة ابن تيمية – القاهرة، ط٢، وتكملته نشر: دار الصميعي-الرياض، ط١، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

٣٦. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، إبراهيم مصطفى وآخرون ، نشر: دار الدعوة .

٣٧. المنتقى شرح الموطأ ، أبو الوليد الباجي الأندلسي، نشر: مطبعة السعادة، مصر ، ط١، ١٣٣٢هـ.

٣٨. موقع الاتحاد الدولي لجمعيات الصليب الأحمر والهلال الأحمر www.ifrc.org/ar

٣٩. موقع صحتي: https://sehhty.com بتاريخ ٢٠٢٣/٦/١٠م .

٤٠. الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب، ابن قيم الجوزية ، تحقيق: عبد الرحمن بن حسن بن قائد، راجعه: حاتم بن عارف الشريف-يحيي بن عبد الله الثمالي، نشر: دار عطاءات العلم (الرياض)-دار ابن حزم (بيروت) ، ط٥، ١٤٤٠ هـ - ٢٠١٩م.

٤١. الوباء في الكتاب المقدس، القس د.حنا كتتاشو، مقالة ضمن موقع كلية الناصرة الانجيلية (nazcol.org).